

إشراقات كربلائية

إشراقات كربلائية

سماحة العلامة الشيخ عفيف النابلسي

دار الهادي
بيروت - لبنان

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

المقدمة

الحمد لله وصلى الله على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه.

كربلاء حادثة ضاربة في أعماق الزمن فيها من العجائب والفظائع بحيث توقف التاريخ مراراً وهو يسجل غرائب مفردات أحداثها. حيث ارتكب الجيش الأموي فيها أبشع المجازر في آل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي والتنزيل.

وكأن أفراد الجيش كانوا على موعد مع الصهاينة الجزائريين الذين لا يرحمون شيخاً ولا طفلاً صغيراً. ومن العجب لهذا الجيش ولضباطه، كانوا إذا جاء وقت الصلاة أذّنوا وصلّوا وقدّسوا النبي محمداً ﷺ وصلّوا عليه وبعد نهاية الصلاة ينهالون على أولاده ضرباً وحرباً وتقتيلاً وتشريداً كل ذلك تنفيذاً لأوامر رجل طاغ باغ لا ينيلهم من دنياه إلا فتات وليس لهم من حكمة إلا السيف.

وتحولوا إلى مجموعة مسوخ بشرية تعوي لغيرها وتحمل أوزار التاريخ. ومن تعاسة حظ هذا الجيش أن التاريخ لاحقهم وكتب

ترجمتهم وصورهم بأنهم لعنة التاريخ ولطخة العار الإنساني عبر العصور.

والآن وبعد مرور أربعة عشر قرناً يقرأ عالمنا تاريخ هؤلاء القتلة فلا يزال يشمئز من أفعالهم ويستنكر عليهم جميع أعمالهم حيث خسروا الدنيا وباؤا بغضب من الله كما باء اليهود قديماً وحديثاً لسوء أفعالهم وقبح أعمالهم.

ومذبحة كربلاء أيقظت العالم الإسلامي من أوله إلى آخره ونبّهت الأحرار بأنه لا قيمة لحياتهم ولا لصلاتهم إن ظلوا خانعين تحت وطأة السوط والسيف وفي ظل عتاة بني أمية وتذكروا قول الإمام علي عليه السلام في صفين منها جيشه وأصحابه.

«الحياة في موتكم قاهرين والموت في حياتكم مقهورين» فهبوا والدم الحسيني يثور في عروقهم وتوجهوا إلى النظام الغارق في بحر من دماء الشهداء ودماء العشائر العربية الأصيلة، وتعاوض معهم مجموعات التوابين والنادمين وصرخ الثوار صرختهم الكبرى وتلاقوا في سوح الجهاد قوة معنوية جبارة لا تهاب صليل السيوف ولا قعقة الخيل. بطولات نادرة يقودها حب الحسين الذي قال لقاتليه هيهات منا الذلة يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون ونفوس طابت وحجور طهرت.

ملاحم البطولة عادت من جديد وعاد الحسين والعباس وعلي الأكبر وعادت المأساة تجسد الشهادة والصبر وتدفع بهؤلاء إلى سوح المعارك حتى تراجع الجيش الأموي وتراجعت الدولة العظمى إمام قيادة الثورة الفتية.

ولا شك ان الثورة الحسينية التي اشتعلت لم تقتصر على عملية إقصاء الحاكم بل عملت على اجتثاث النظام والجب الأموي من أصوله .

وشارك في هذا التوجه علماء وأدباء وكتاب وشعراء وأهل الرأي ولا شك ان توجيهات الأئمة عليهم السلام وخصوصاً مولانا الإمام السجاد عليه السلام كان له أكبر الأثر فالغطاء الشرعي للثورة ضرورة حياتها .

هذه ملامح الثورة باقية بهذا الغطاء وهذه الحماية، وستبقى حتى ظهور مولانا صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف .

ومن التوفيقات الإلهية أن آل البيت عليهم السلام ظلوا هياكل نورانية جاذبة لمحبيهم وعاشقيهم مما جعل النثر والشعر وكل اشكال التعبير الادبي تتجه لمدحهم وذم أعدائهم حتى كان وقود الثورة في حالة اضطرام دائم .

وشارك في تأجيح هذه التوجيهات مراجع وعلماء كبار يحضرون مراسم العزاء فيبكون وتحمر عيونهم على مصاب سيد الشهداء وآل بيته وأدى هذا النوع من السلوك إلى تجذير الأفكار الثورية في كل أقطار الدنيا .

وعندما ننظر إلى بلاد مثل النجف وقم وجبل عامل والحلة التي راج فيها سوق العلم نجدها في أيام عاشوراء مجللة بالحزن والأسى تعميقاً للمصيبة والمأساة وحنقا على الظلم والظالمين .

وهذا الكتاب الذي بين يديك جزء من المكتبة العامة التي كتبها

العلماء بمدادهم والشعراء بقرائحهم والشهداء بدمائهم يتكامل مع الثقافة الحسينية الهادرة.

وهو يمتاز بأنه توجه جديد عالج الفكرة المستوحاة من عصمة الحسين عليه السلام معالجة علمية وأخلاقية تنسجم مع إشراقة الحسين عليه السلام وسموه النفسي وهو إظهار لقدرة الإمام الحسين عليه السلام على صناعة الأبطال في أخرج الأوقات وأدقها وله عليه السلام من جاذبيته الروحية وأخلاقه المعنوية العالية ما تجعله من أكابر أهل الكشف والعرفان والإشراق بل هو أستاذهم بلا منازع تبعاً لأبيه علي وجده النبي وأمه فاطمة صلوات الله عليهم أجمعين.

وسوف تقرأ في هذا الكتاب مقدمة منسجمة مع موضوعها وترى أيضاً قدرة أصحاب الحسين عليه السلام على الالتحاق بسيدهم بسرعة مذهلة وكأن استعدادهم الكامن في أعماقهم كان بحاجة إلى مفتاح فكانت كلمات الحسين عليه السلام هي المفتاح السحري الذي جعلهم يخلعون لباس الأبدان ليحلقوا بعد قليل إلى عالم الجمال والكمال واليقين.

ملحمة إلهية متكاملة في شكلها موضوعاً ومنهجاً واستاذاً وطلاباً الجميع كانوا على مستوى عال من الطهر والكشف إشاراً للحسين وحباً له وتبعاً لرضا الله ورسوله.

آملين أن يكون لهذا الكتاب دور في صناعة المستقبل وتربية الأجيال حيث يأخذ الخطباء هذه الأفكار ويطعمون بها المجالس المباركة لتزداد نماء على نماء وبركة على بركة.

وأنا على يقين من نجاح هذه الطروحات وهذه الأفكار ومهما

دارت الدنيا فسوف تعود إلى آل محمد. الين عريكة واسلس قيادة
ومهما كان الثمن غالياً فهو قليل في الوصول إلى الجنة ومرافقة سيد
الشهداء ﷺ السلام على سيد الشهداء وآله الاطهار وصحبه
الأبرار.

مقدمات لا بد منها

١ - لا بد من تقديم بحث مختصر عن العقائد حيث العلوم الأخرى فرع من فروعه فمن يريد الكلام عن الحسين وإمامته وملاحمه البطولية وأخلاقه الروحانية والملائكية لا بد له من إثبات الركيزة الأساس وهي أولاً وجود الله وتوحيده والنبوة ومتفرعاتها والإمامة وخصالها وصحة إمامة الأئمة عليهم السلام وأحقية الإمام الحسين عليه السلام بالخلافة وإلا كان ظالماً وعاقاً وخارجاً على إمام زمانه ولعلّ البعض الذي قال: إنّ الحسين قُتل بسيف^(١) جده مستند على معلومات مضللة وأخلاقيات رذيلة حسبها فضيلة ففح من فيه هذا التثني

٢ - لا بد من تقديم بحوث عرفانية مختصرة تفسر بعض المواقف المحيرة للإمام الحسين وآله وأصحابه.

٣ - أيضاً لا بد من المقارنة بين مواقف العلماء الفلاسفة والعلماء العارفين بالمعنى الاخص والمقصود بهم الذين ربوا أرواحهم وقلوبهم تربية خالصة استطاعوا ان يروا بأب العين ما وراء الحواجز الطبيعية فكانوا يقاتلون ضرورة للخلوص إلى ما يشاقون

(١) القاضي ابو بكر بن عربي- العوالم الاربعة.

إليه من كرامة الله لأوليائه حيث لا يستطيعون الوصول إلا بنزع اللباس الترابي والتحليق بعدها في عالم الرضوان.

وبالطبع لا بد من إيراد مجموعة أخلاقيات أهل الحق مقارنة ببعض أخلاقيات أهل الباطل لنرى الفرق واضحا بين من ارتكس بجهله وسوء فعله وبين من حلق إلى افق الكمالات بعظيم فضله وروائع خلائق نبه.

وربما نكثر من حشد الإشراقات التاريخية والتجليات الكربلائية لأهميتها وعظيم الفائدة من حشدها خصوصاً وان الأمة اليوم بدأت تستنير بهديها وتعود من خلالها إلى سابق مجدها وعزتها وبعدها تظهر الساحة على حقيقتها ليراها من يراها مجرحة مأساوية مخلوطة بكل الرذائل البشرية التي جرّها يزيد بن معاوية ومعه غلمانة وشياطينه وأتباعه واهواؤه وكلاب صيده ممن يمشي على أربع أو يمشي على رجلين ولتعرف الناس طبائع البيت الأموي بسوء منقلبه وقبيح رذائله وفظيع فواحده وكبير عظائمه ولتعرف البيت العلوي بعلو فضائله وجميل خصاله وعظيم خلائقه ومدى كرمه وسعة معرفته وتربيته الأخلاقية وفوائده الاجتماعية وانهم الاهل والمال والجاه والكرامة والعنفوان والصدارة والزعامة والامارة والإمامة و السياسة وانهم أهل الحق والسر والامر والكرم والعلو والمجد والعفو والصفح والميراث الأول واليقين وعين اليقين وحق اليقين وأصحاب اليمين وأهل المعرفة والاعراف وزعماء الدنيا وعلماء السياسة ومجمع الفضائل ومرجع العلماء واهل بيت العلم ودعامة الحلم ومختلف الملائكة ومهوى الافئدة ولهم المرجع واليهم حساب الخلائق.

٤ - ومن فوائد علم الكلام انه تبنى عليه العلوم الشرعية فإنه أساسها واليه يؤول أخذها واقتباسها وبيان ذلك:

إنه ما لم يثبت وجود خالق الكون عالم قادر حكيم غير عابث في فعله وأنه كلف الناس بتكاليف بواسطة الكتب السماوية وتعاليم الرسل لم يتصور علم تفسير ولا علم فقه ولا أصول ولا سائر العلوم الإسلامية.

بل لولا علم العقائد لما كان معنى لعلوم الفقه والقانون الإسلامي وفروع العبادات والمعاملات والتقرب إلى الحق فإنها أمور متفرعة عن وجوده سبحانه ووحدانيته والإيمان به وبرسله وكتبه وملائكته والتقرب إليه وكل المعنويات عندئذ تصبح معلومات يحتاجها الإنسان في علاقاته مع ربه والاجتهاد في هذا السبيل يصبح سيراً وسلوكاً وإلا كان ذلك ضياعاً للوقت عندما يضع الهدف وتمشي إلى وراء بدل أن تسير إلى الأمام وتتزحلق في المزالق بدل ان تصعد في الآفاق وتتجلبب لباس الذلة والضعفة والمسكنة بدل لباس العزة والرفعة والكرامة والرفعة وهكذا.

٥ - ولا شك عندي ان الدخول في عالم المعرفة العقلية سهل مع صعوبته ولكن الدخول في علوم الكشف صعب مع سهولته.

والاستدلال على الامل وتقديمه للناس له حظ وافر وسوق رابح وأما الثاني فالاستدلال عليه مربك للمستدل فالكشف أمر لا يحوطه إلا من مخضه الله مخض السقاء واحترق بنار العذاب والجفاء حتى خفي وذاق في طي المنازل من الاهوال والصدمات حتى محي رسمه وهي أذكار وأوراد ولذائد معها معانات وأشواق

يتبعه حسرات وآهات وكل ذلك صعب إirاده وحش وirاده وخوف طريقه قليل رفيقه.

فمن هنا قل سالكه والعارف الأكبر ينادي لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلة سالكيه ولكنهم استوحشوا واستوحش حتى بعض البعض الذي جذبته روعة النظر وشهوة الطعام ولذة الغلطة وسطوة الظلمة فوق وقع فيه أهل الدنيا مع بعده عنهم بزيه وشكله ولباسه ومنهج حياته فانطفأت أنوار عبرته بتقديم شهوته ومحا طرائف حكمته بفضول لسانه وقمعه بطنه وشهوته وأصبح أسيرا لهواه مع كبر سنه وضعف قواه البدنية ولم أر كالحسين عليه السلام وأصحابه حيث سيطروا على كل منافذ الجسد فأوصدوها وسلطوا على ظلمات شهوات أبدانهم لمعات أنوار قلوبهم فأذابتها فإذا هم هياكل نورانية بملايس ناسوتية تنبعث حرارة الشوق إلى لقاء ربهم من دقائق قلوبهم وأصوات حناجرهم ومرامي ابصارهم وخياشيم أرواحهم وكانوا آنس بالموت مع سيدهم من الطفل بمحالب امه والحييب في ليل وصاله.

ويا نعم ما قيل في هذه التجليات على لسان شاعر أهل البيت عليه السلام السيد حيدر الحلي (رض)

ولما قضى للعلى حقها	وشيد بالسيف بنيانها
ثوى زائد البشر في صرعة	له العز حبيب لقيانها
كأن المنية كانت لديه	فتاة تواصل خلصانها
جلتها له البيض في موقف	به أشكل السمر خرصانها
فبات بها تحت ليل الكفاح	طروب النقيبة جذلانها
وأصبح مشتجرا للرماح	تحلي الدمانه مرآنها
عفيرا متى عاينته الكماة	يختطف الرعب الوانها

فما أجلت الحرب عن مثله صريعاً يجبن شجعانها
أرأيت مثل هذا التصوير الرائع إذ لولا التجلي للإمام
الحسين عليه السلام وتدفق أنوار الله عليها وبقاء نور الشهادة في وجهه
المبارك فكيف يخاف الأبطال منه فقد ورد في الملحمة الكربلائية ان
الحسين عليه السلام عندما شاءت القدرة الإلهية ان يقطع جسده ويضمخ
تراب كربلاء بعبيره وجه الامير أبطالاً ليحتزوا رأسه وكان به رمق من
الحياة فكان كلما ينظر إليهم يرتعدون وتسقط سيوفهم من أيديهم.

كيف؟ وهو ملقى على الرمضاء بدون سلاح وحيداً لا ناصر له
ولا معين وهم مدججون بالسلاح ومعهم ثلاثون ألف فارس من
ورائهم وهم مع ذلك يخافون ويفرون.
«هنا سرّ السرّ وحقّ الحقيقة».

وسوف نعود إلى هذه الإشرافات عندما نصل اليها متوسلين
بمنهجية البحث لتكون الفائدة أعظم وأتم.

وجود الله

من بديهيات العقيدة الإسلامية وجود الله وتوحيده وأنه قادر وعالم ومريد وسميع بصير حي قيوم ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وأنه خلق الكون والإنسان والحياة والحيوان والسماء والأرض والشمس والقمر والليل والنهار والكواكب والنجوم والارزاق والاقوات وهياً للحياة مناخها واعتدالها وحرارتها وبرودتها وخلق في الكون لبقاء الإنسان نظاماً كاملاً في الماء والهواء والطعام والغذاء واللباس وخلق كل شيء بقدر وخلق الأشياء كلها في الأرض لخدمة الإنسان وارتقائه وانحنائه إمام جبروته وعظمته.

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

واحسبني انني لا أحتاج إلى دليل فالحياة كلها أثر من آثار الخالق تبارك وتعالى والإنسان فيض من كرم المولى والحياة نعمة من نعمه ولا يوجد شيء في هذا الكون من أصغر ذرة إلى أكبر مجرة إلا وهي رشح كمالاته وفيوض منابعه وأثر قدرته ومعلول لإرادته.

ومع ذلك سأورد بعض الملامح العقلية استكمالاً للموضوع وانسجماً بين منابع العقل والقلب.

دلالة الأثر على المؤثر:

ان من القواعد العقلية الثابتة التي لا يمكن إنكارها احتياج كل معلول إلى علّة وكل منا يعايش جزئيات هذه القاعدة ومصاديقها في الخارج المحسوس المحيط بنا فنرى ان المنزل الذي يأوي إليه كل عائلة منا، لا بد له من بناء والحرارة التي نستدفئ بها لا بد لها من نار والضوء الذي نستنير به لا بد له من كهرباء.

ومن هذه الجزئيات الصناعية ننطلق إلى العالم الطبيعي والكون المشاهد كله فهذه الجبال الشامخة والسهول المنبسطة والانهار الجارية والغابات الكثيفة المتشابكة لا بد لها من صانع وتلك السماء الشاسعة وما فيها من شمس وقمر وكواكب ونجوم ووو من الظواهر العظيمة لا بد لها من موجد اوجدها.

وهكذا فالإنسان مذ وطئت اقدمه البسيطة تحدثه فطرته بأن هذا الكون أثر وكل أثر لا بد له من مؤثر قد أثر فيه ولا بد له من موجد قد أوجده فهناك إذن - علّة عظيمة القدرة وقوة هائلة الجبروت أوجدت هذا الكون وكل هذه الظواهر الطبيعية. وإن لم يكن يراها ويعاينها بناظره أو يعايشها بحواسه. وهذا الدليل من أبسط الأدلة وبه عبر بدوي بعفوية حين سئل عن دليل على وجود الله فقال: البعرة تدل على البعير وأثر الأقدام تدل على المسير أفسماء ذات ابراج وأرض ذات فجاج ألا تدلان على اللطيف الخبير^(١).

(١) بداية المعرفة: ص ٧٨ - الشيخ السبحاني تقرير حسن مكّي العاملي.

التوحيد

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٣﴾﴾ .

التوحيد من أهم الصفات التي يتصف بها الباري تعالى وهو يعني تنزهه عن الشريك .

والقرآن قدّم أدلة على التوحيد في كثير من الآيات المباركة وتحذى من يقول بالشرake أن يثبت القدرة لهذا الشريك .

قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ .

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدٌ﴾ .

وقال سبحانه: ﴿أَتَمَّ إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَحْدٌ﴾ .

وقال تعالى في معرض الصناعة الواحدة والهيمنة الواحدة
الممسكة بنظام الكون كله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ .

وقوله سبحانه: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ .

قول الإمام علي عليه السلام في وصيته لأولاده الإمام الحسن
ومحمد بن الحنفية: واعلم يا بني لو كان لربك شريك لأتتك رسله
ولرأيت آثار ملكه وسلطانه ولعرفت أفعاله وصفاته ولكنه إله واحد
كما وصف نفسه^(١).

ويكفي هذا من القرآن وقول الإمام عليه السلام حيث الحاجة إليه
كافية.

(١) حق اليقين ص ١٥ سيد شبر دار الكتاب الإسلامي .

النبوة

ظاهرة النبوة هي الظاهرة الابرز بعد ظاهرة التوحيد العام في الأرض والسماء .

ومنذ البداية أرسل الله الرسل لهداية الشعوب وفي عقائدنا ان الهداية واجب على الله من باب اللطف حيث يحكم العقل والشرع بمنع العذاب بل العقاب قبل الاعلام والتبليغ يقول تعالى : وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا .

وحقت كلمة الله على العباد بإرسال الرسل وتعليم الأحكام وكانت ظاهرة الرسل معروفة في كل عصر وكل جيل وحسب الحاجة . ومن هنا استفاد العالم من علوم الرسل وروحانيتهم وثقافتهم ما ملؤا جعبهم الذهنية وصاروا طائعين لقدرة الحق جل شأنه .

وكان آخر الرسل والانبياء سيدنا محمد ﷺ منذ آدم مروراً بنوح وإبراهيم وموسى وعيسى أولي العزم ولا نفرّق بين أحد من رسله .

وكل رسول كان معه كتاب أو يعتمد على شريعة من سبقه من أصحاب الشرائع السماوية الكبرى كإبراهيم وموسى وعيسى .

وبما ان النبي محمد ﷺ خاتم الانبياء والرسل كانت شريعته أيضاً خاتمة الشرائع وأيضا كانت شاملة كاملة جامعة مانعة صالحة منذ ذلك الوقت حتى قيام الساعة وبهذا منع المسلمون تصديق كل مدع للنبوّة ومنعوا تصديق كل مدع لتشريع جديد وقالوا لا يوجد فقه جديد غير القرآن والسنة ولا ثقافة إلا ما ذكره القرآن والسنة وجميع أهل الكتاب والصحابة استقوا من هذين ينبوعين المباركين الذين يعودان إلى المبدأ الأول والعقل الاول.

وكانت الرسالة الإسلامية هي الرسالة الإلهية الوحيدة التي طُبِّقت على يد الرسول نفسه حيث نزلت نجوماً وفق الحاجات الإنسانية وسجلت نجاحاً رائعاً في الممارسة والتطبيق وكان الصحابة الكرام يحسون يومياً بعمليات التغيير التي أخذت الرسالة بتطبيقها على الامة واستطاعت ان تحول الشعارات التي رفعتها في بداية الدعوة إلى حقائق في الحياة اليومية للناس وظلت الرسالة بتوحيها ونورها لا يمحوها كَرّ الحياة وتجديد الليل والنهار وامتدت إلى جميع الامم بنفس الوهج التي قابلت به العرب الفقراء في عصر الدعوة الأولى وملأت فراغات في السياسة والاقتصاد والاجتماع حتى استوعبت الإنسان بجميع ألوانه واعراقه.

وبما ان الرسالة خالدة وأبدية والرسول إنسان محدود ذو عمر قصير وبما ان استيعاب الرسالة واحتضانها واستحفاظها وتفسيرها ومعرفة جميع أحكامها محصور بعدد قليل كان لا بد لها من حفظة وعلماء وأخبار وربيين يستمرون في بث الأفكار والتوعية ويتحولون إلى مرجعيات فكرية وفقهية وتفسيرية تعود الامة اليهم كلما اشتدت الحاجة إلى ذلك ليكونوا هم الحكم العادل أصحاب القول في

القضاء ومعرفة الأحكام حتى لا يطغى إنسان على آخر ولا يجهل إنسان حق أخيه الإنسان.

ومن هنا كانت الإمامة استمراراً للنبوة وقد أكد النبي محمد ﷺ مراراً وتكراراً بما لا مزيد عليه على دور الإمامة ودور الأئمة عليهم السلام وعين الأئمة عليهم السلام بالنص.

وقال في كثير من الموارد في حق أخيه الإمام علي عليه السلام «أنت أخي ووصي ووارثي وأنت تقضي ديني وتنجز عدااتي».

وورد عنه في غزوة تبوك عندما ولّى عليّاً على المدينة خوفاً عليها من مؤامرة أهل الشرك والنفاق وقال المنافقون ما قالوا في علي «بأنه ولّاه على النساء والصبيان» فحمل سلاحه والتحق بالرسول الأكرم ﷺ قال النبي ﷺ يومها: يا علي لا يحلّ لي أن أذهب إلى تبوك إلّا وأنت أمير على المدينة ثم ذكر له ما يسبب غيابه من صعوبات ومؤامرات على الدين ولما ذكر له ما لفظ به المنافقون أجابه بقول خالد ظلّ على مرّ الزمن طوقاً في جيد علي عليه السلام لا يمحوه الليل والنهار «يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلّا أنه لا نبي بعدي» وحديث الولاية والمنزلة وإمارة المؤمنين والولي المنصوب يوم الغدير وأهمية وجود علي وأنه الوصي والولي والحمي والكمي وأنه العالم والعارف والقادر والشجاع وأنه المعين والمنصوب أميراً على الأمة وإماماً للملّة بنص السماء ونص النبي ﷺ قال رسول الله ﷺ يوم الغدير: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادْ مَنْ عَادَاهُ وَأَدْرِ الْحَقَّ مَعَهُ كَيْفَمَا دَارَ».

وكان من بعد أمير المؤمنين عليه السلام ولداه الحسن والحسين عليهما السلام

وقد تولى الإمام الحسن عليه السلام الخلافة بالنص والبيعة العامة ولم تف
الامة له فغدرت به وسمته وخذلته قبل ذلك حتى اضطر روحي فداه
أن يتنازل عن دوره ومركزه الطبيعي بشروط تعود لصالحه وصالح
أخيه سيد الشهداء ولكن الذي أعطى العهود نقض ونكث وقال لأهل
الكوفة عندما دخلها بعد البيعة له - والله ما قاتلتكم لتصلوا أو تزكوا
أو تحجوا انكم لتفعلون ذلك وانما قاتلكم لأتأمر عليكم وقد اعطاني
الله ذلك. ثم عقب الا واني كنت أعطيت الحسن بن علي شروطاً
وانها لتحت قدمي ثم مزق من جانبه وثيقة العهد أمام الملاء وعرف
الناس بشكل فاضح أن معاوية لا أمان له ولا وفاء عنده وأكثرهم قد
روى عن النبي ﷺ قوله: «المؤمنون عند شروطهم».

ولما انتقل الإمام الحسن إلى الرفيق الاعلى تبوأ الإمام الحسين
الزعامة الهاشمية والقيادة الإلهية والمرجعية الفكرية والفقهية للامة
وعاد حديث الساعة وهو معروف منذ صباه ببلاغته وسؤدده وجوده
وشدة صولته ومواقفه الصعبة التي يخافها منه معاوية وظل معاوية
متربصاً بالإمام الحسين عليه السلام - سوء - لكن الإمام الفطن ضيع على
معاوية سوء نيته وفساد طويته حيث التزم بكل ما التزم به أخوه من
السكوت والطلب وكان له فلتات حادة في مواجهة معاوية بكلام
أقسى من الحجر الصم خصوصاً بعدما قتل معاوية حجر بن عدي
الكندي وأصحابه المعروفين بأنهم رهبان الليل وأن العبادة انحلت
جسومهم فقتلهم معاوية لأنهم رفضوا سب علي بن أبي طالب عليه السلام
وكذلك قتل العالم الزاهد عمر بن الحمق الخزاعي صاحب
رسول الله ﷺ وحمل رأسه إلى معاوية وهو أول من رأس يحمل
في الإسلام فغضب الإمام الحسين عليه السلام وكتب إلى معاوية كتاباً فيه

ما فيه من الوعظ والتذكير والكلام الحق إمام سلطان جائر ولأن معاوية رأى نفسه مستحقاً لهذا الكلام المر في حلقه تحمل وسكت ولما قال له ولده أكتب له ما يعيبه قال لك: «والله إني لم أجد فيه للعيب موضعاً».

وبما ان الإمام الحسين عليه السلام اشترط على معاوية ان تكون الخلافة بعده للإمام الحسن فإن مات الإمام الحسن فلاخيه الإمام الحسين عليه السلام أصبح معاوية محشوراً بعد وفاة الحسن مسموماً بسم بعثه معاوية لزوجته (جعدة بنت الاشعث) التي وعدھا بمائة الف درهم والزواج من ولي عهده يزيد ولما مات الإمام الحسن عليه السلام بذلك وفى لها بالمال وماطلھا بالزواج قائلاً لها انني أخاف على ولدي الوحيد وإن من سمّت ابن بنت رسول الله تستطيع ان تسمّ ابن معاوية. وهو استنتاج صحيح لكن الذي ورطھا وأعطھا السم هو معاوية.

وعلى أية حال فقد أصبح معاوية يضيق ذرعاً بوجود الإمام الحسين عليه السلام فأعمل الحيلة جيداً مع معاونيه الماكرين فلم يظهر له إلا الغدر والمكر ولم يعطه عمره فرصة أطول من ذلك فنكث هنا أيضاً بالشروط وفرض ولده يزيد على الامة وهو غير مؤهل بشيء لهذا المنصب الإسلامي الخطير إذ كيف يكون خليفة ويجلس في مركز الامر والنهي والحلال والحرام والافتاء كما كان الخلفاء الراشدون وهو شاب نزق سادر في غيه مرتكس في إثمه لا فقه ولا تجربة ولا ورع ولا تقوى وليس له من تاريخه إلا معاقرة الخمر وممارسة الفجور والزنا والعزف مع القيان والسياحة مع الخصيان للصيد واللّهو ومطاردة الغزلان والتمتع بالجواري الحسان فالدلال

والرذائل الأخلاقية والموبقات التي ارتكبتها كانت هي المانع الأكبر للوصول به إلى أدنى مرتبة في سلم الخلافة الإلهية فهو لا يستحق أن يكون حارساً من حراس قصر الخلافة أو كاتباً للجباية أو موظفاً للحماية فهل يوضع في مركز الامة الأكبر ويستلم مقاليد الخلافة العظمى .

وفي الامة وريث طبيعي وشرعي ومؤهل روحيا ومعنويا والعلوم كلها في جعبته فهو ابن علي عليه السلام وفاطمة سبط الرسول الاكرم الذي صرح باسمه بأنه امام، ابن امام، أخو امام، أبو أئمة تسع، وقال ايضاً: «الحسن والحسين امامان قاما أو قعدا» يبقى الإمام الحسين إمام واجب طاعته على الامة بالنص سواء استلم الحكم واخذ الخلافة أو اقصى عن منصبه وعلى الامة ان تكون مع الحسين عليه السلام في الحاليتين .

غير أن الامة التي حكمها الأمويون وزرعوا فيها ثقافتهم تغيرت وتكررت للحق وتنازلت عن قيم الإسلام واستبدلت ذلك بقيم عشائرية أموية بعيدة كل البعد عن جوهر الدين وثقافة الإسلام وتعاليم النبي محمد صلى الله عليه وآله أصبحت تابعة تلتزم بما عليها يمليه عليها حاكم ظالم لا يريد من الخلافة إلا الحكم الذي حوله إلى حكم كسروي وقيصري يورثه الابناء جيلاً بعد جيل . واستلم يزيد الحكم بعد موت معاوية وكان قد ولاه ولياً للعهد وفرضه فرضاً بحد السيف ولمع الدينار والدرهم فوزع عشرات الملايين على رؤوس الامة وعشائر العرب وجيل الصحابة وابنائهم واخاف مع ذلك الجميع ودعاهم إلى يوم البيعة وأوقف على من يخاف منهم كالحسين بن علي عليه السلام وعبد الله بن الزبير وعبدالله بن عمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر، كل

واحد من هؤلاء فارسين يحملان السيف فوق رأسه فإن تكلم بأية كلمة حق أو باطل يقطع رأسه.

وبهذا الجور والظلم والقسوة المتناهية بايع الناس يزيد لأنه جاء بخطيب فأمره ان يخطب ويحسن يزيد إلى الناس فقام هذا الرجل الذي باع ضميره للمال والسلطة فأثنى على معاوية وأجداده أحسن الثناء ثم عطف على يزيد فجعله في مصف الأولياء وهو معاقر للخمرة ثم اختصر الموقف فقال امير المؤمنين هذا وأشار إلى معاوية فإن مات فهذا وأشار إلى يزيد فمن أبى فهذا وأشار إلى سيفه. فسكت الاربعة خوفا على رقابهم من القطع وبايع الآخرون تزلفا وظنا بأن هؤلاء الاشراف قد بايعو وأخذ الخطيب وساماً من معاوية حيث قال له: أحسنت انت سيد الخطباء. وأخذ يزيد ولاية العهد بالظلم والبيعة بالغشم وكمت الافواه وملئت جيوب الرؤوساء بالجواهر والدنانير هذا ملخص تمامية البيعة المشؤومة التي عبر عنها الحسن البصري بأن معاوية اختزل الامة في يزيد مع ما فيها من الصلحاء السابقين واولاد الصحابة الاكرام وخصوصاً سبط الرسول الاكرم ﷺ الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ^(١).

وبعد وصول يزيد إلى الحكم ولم يبق من مستشاري معاوية أحد من دهاة العصر وبناء العروش اتخذ يزيد مستشارين ليس لهم خبرة اكثرهم من الشباب الذين لا يفكرون في العواقب.

وعندما طرحت قضية البيعة العامة للمناقشة لم يجدوا في جعبتهم إلا القسوة والقهر وأخذ الخلافة بالبيعة المقهورة وعلى

(١) أبو الشهداء بتصرف ص ٣٠ طبع دار الهلال سنة ١٩٥١.

الناس ان يبايعوا فمن ابى يقتل كائنا من كان وبهذا العقلية السمجة كتبت الكتب ووزعت على الولاة واخذها الرسل وسلموها لولاة المدن الكبرى مثل الكوفة والبصرة والحجاز ومكة والمدينة واليمن ومصر وغيرها في البلاد الإسلامية .

ولم يبق في عهد يزيد من يخاف منه إلا الحسين بن علي عليه السلام وعبد الله بن الزبير والباقون من جيل اولاد الصحابة لا يفكر إلا بما يبعثه الوالي له آخر الشهر من مرتبات ليشبع نهم شهواته وميول غرائزه .

وفي هذه المرحلة الصعبة والدقيقة التي تحتاج إلى رجل الساحة والساعة أيضاً كان الحسين عليه السلام هو الامل والمرجى لكل ابناء الامة من اقصاها إلى اقصاها كي يتحمل المسؤولية ويقود حركة التاريخ ويعيدها إسلامية محمدية كما بدأت يوم امسك برقابها سيد البشرية لفتح الدنيا وتخليص العالم من براثن الظلم والجور وضيق الحياة إلى عدل الإسلام وسماحته وسعة مساحته بقيادة البيت الذي نشأ على الحب والإيثار والعدالة والتقوى وهكذا عادت حالات التضاد تضاد القيم تتصارع لتنتصر القيمة الارفع والاقوى وكانت الاريحية والنبيل والوفاء وحب الناس في جانب والقهر والظلم وغصب الحق ومصادرة الامة في جانب آخر وضُلت الامة بما لا مزيد عليه من الاكاذيب والأضاليل حتى وقعت في الفخ واستسلمت للظلم واستمرت الظلم طويلاً ونامت تحت سوط الظالم حيناً من الزمن تن من نزع الجراح وجوع البطون وهدر الكرامات حتى نفث الإمام الحسين عليه السلام في روعها من خُلُقهِ وبث في وعيها شيئاً من علمه وفي فكرها وميضاً من نوره فتحركت فيها الحياة وعادت من

جديد تصارع القهر والفقر والجور ولاقت ما لاقت من مواجهات
حادة وصعبة وصبرت وكان النصر حليفها وشاء ربك أن ينتصر الحق
واهله بعد معارك أرخت ظلالها وجاء الحق وزهق الباطل إن الباطل
كان زهوقا.

وهنا حدثت المواجهة المبدئية بين قطبي الحق المتمثل بالإمام
الحسين عليه السلام وبين الباطل المتمثل بيزيد بن معاوية عليه لعنة الله
والناس أجمعين.

وقبل الدخول في بيان الأفكار والتطبيقات والتعليق عليها علينا
أن نعود إلى ما ذكرناكم به لنفهم كلمات العرفاء الأكارم ونسجل لهم
جذوات أفكارهم المضيئة وومضات قلوبهم المشرقة.

ولتوضيح المطالب إمام القارئ لا بد من ذكر أدوات المعرفة
حتى نفهم معاني الإلهام والإشراق ونكشف قيمة العنوان الإلهامي
والإشراقي.

مصادر المعرفة

لا شك عندنا وعند جميع الفلاسفة والملهمين ان الإنسان عندما يولد يولد صفراً من كل معرفة ثم تنمو معرفته عن طريق الارتباط بالواقع الخارجي ويتدرج وتنمو معارفه كلما زاد من تعاطيه مع هذا الواقع. وإلى هذا يشير قوله سبحانه وتعالى في سورة النحل آية ٧٨ ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ وكان لأفلاطون رأي فلسفي عنونه تحت نظرية الاستذكار وخلاصته: ان النفس الإنسانية كانت قبل تعلقها بالبدن متحررة من كل قيد فأمكنها الاتصال بموجودات نورانية فتعرفت عليها ولما هبطت من ذلك المقام وتعلقت بالبدن المادي فقدت كل ما كانت تعلمه وذهلت عنه ذهولاً تاماً وصارت كلما تصطدم بشيء خارجي تتذكر أنها رأتة في عالم الظلال فتسترجع معلوماتها بهذه الصدمات وعلى ذلك فليس للإنسان أي طريق للمعرفة إلا الاستذكار.

وهذه النظرية أبطلها العلماء لأنها اعتمدت على ركيزتين فلسفيتين. أحدهما: ان النفس موجودة قبل وجود البدن في عالم أسمى والثانية: أن المعرفة والادراكات هي إدراكات الحقائق المجردة في ذلك العالم وكلتا القضيتين خاطئتان.

فقد اوضح ناقدوا الفلسفة الافلاطونية. ان النفس في مفهومها الفلسفي ليست شيئاً موجوداً بصورة مجردة قبل وجود البدن بل هي نتاج حركة جوهرية تبدأ النفس مادية وتخضع لقوانين المادة ثم تصبح بالحركة التكاملية من خلال قابليتها من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى خلق آخر تام وعندها تصبح وجوداً مجرداً كاملاً عن المادة ولا يخضع لقوانينها^(١) ولو أغمضنا النظر عن هذه النظرية نجد ان اتفاق الكل على ان جميع المعارف والادراكات يكتسبها الإنسان عن طريق أدوات المعرفة ولولا تجهيز الإنسان بها لكان صفرًا من كل معرفة. غير ان الفلاسفة اختلفوا في تعيين الأدوات التي يكتسب بها الإنسان معارفه وادراكاته وانقسموا إلى طوائف.

١ - طائفة يجنحون إلى الحس ويرونه الرصيد الوثيق للإتصال بالخارج والإذعان به وهؤلاء هم الحسيون.

٢ - وطائفة يركزون على العقل ويرونه الاداة الوحيدة لكسب المعارف وهؤلاء هم العقليون.

٣ - وطائفة ثالثة يرفضون الحس والعقل ويركزون على الالهام والإشراق وهؤلاء هم الإشراقيون.

وفي ضوء ذلك لا بد لنا من تحليل أدوات المعرفة واحدة بعد الأخرى نستكشف مدى اعتبار كل ذلك.

المس

«الامر الأول الحس من أدوات المعرفة».

(١) فلسفتنا ص ٥٣ - ٥٤ نظرية المعرفة.

الحس من اوثق المصادر في عالم المعرفة إليه تنتهي كل المعارف الضرورية والنظرية ولولاه لما كانت هناك معارف عقلية ولا إشراقية. وهذا لا يستدعي رفض بقية الأدوات بل حسن الاستعمال لهذه الأدوات إذا كانت سليمة يعمل الإنسان في إدراك ما يترتب عليها من معارف أخرى. ومن هنا قيل «من فقد حساً فقد فَقَدَ علماً».

«الامر الثاني العقل»: ويتميز عمله عن الحس فإن الحس لا يتعدى المحسوسات بل يقتصر عمله على نقل الصور الحسية من دون ان يكشف عن شيء آخر.

أما العقل فالعكس فيه تماماً فإنه ينتقل من إدراكات إلى أخرى بعمليات متعددة سنقف عليها.

الاستنتاج

ومن أسمى عمليات العقل الاستنتاج حيث تستخرج حكم مشخص من حكم كلي عام وهو ما يسمّى بالاصطلاح البرهان. وأبسط الامثلة إذا وقف العقل على ان لكل ظاهرة طبيعية علة يحكم بأن للثورة الإسلامية في ايران علة وللمقاومة الإسلامية في لبنان علة وللانتفاضة الإسلامية في فلسطين علة وهكذا.

التمثيل: من الوسائل التي يتوصل بها إلى المعرفة التمثيل والاستقراء والتجربة.

التمثيل هو إسراء حكم من شيء إلى شيء آخر لجهة مشتركة بينهما وبعبارة أخرى هو إثبات حكم في جزئي لثبوتة في جزئي آخر مشابه ويعرف التمثيل في عرف الفقهاء بالقياس. وهو أحد الحجج

التي تعتمد عليها أكثر المذاهب الأخرى وسيظهر لك فيما يأتي قيمة هذا الاعتماد.

ومثال التمثيل في الشريعة: استنباط حكم النبيذ من حكم الخمر لتشابههما في جهة الاسكار فيقال ان النبيذ حرام كالخمر لاشتراكهما في الاسكار. ولا تنحصر الاستفادة في مجال الفقه وحده فإنه كثيرا ما يكون مأخذا في المسائل الفردية والاجتماعية.

افرض انك قرأت كتاباً لكاتب فوجدته نافعا مشتملاً على فوائد علمية فأعجبك ثم أنه قد نشر له كتاب آخر فتحكم بواسطة التمثيل أيضاً بأنه نافع لاشتراك صدورهما من مؤلف واحد أنت تعرفه فتأخذ هذا الكتاب لأنك قرأت الأول فأعجبك.

الاستقراء

الاستقراء: الاستقراء هو تصفح الجزئيات لإثبات حكم كلي. وبعبارة أخرى هو دراسة الذهن لعدة جزئيات ليستنبط منها حكماً كلياً. فأنت تلاحظ الحديد يتمدد بالحرارة أو بالماء السائل يغلي فوق الحرارة فتستنبط من ملاحظة مجموع الجزئيات قاعدة الحديد يتمدد بالحرارة والسائل يغلي فوق الحرارة حتى يتبخر.

التجربة

التجربة إحدى أدوات المعرفة الرئيسية حتى ان بعض التجريبيين جعلها أساس كل المعارف. وقد ورد عن الإمام علي عليه السلام في النهج «وفي التجارب علم مستأنف»^(١) ونحن نعمل في التجربة

(١) غرر الحكم للأموي ص ٢٢٤.

والعقل معا حتى نحصل على حكم كلي فهي مزيج من الحس والعقل .

والتجريبيات هي إحدى اليقينيات التي تشكل أساس البراهين العقلية فإذا جربنا مرات عديدة ان ريشة القلم الباركر تحسن الخط العربي مثلاً اطلقنا بعد ذلك حكماً كلياً لنجاح قلم الباركر بريشته القوية وهكذا لو كتبنا على ورق ابيض بحبر أسود أو ازرق وكررنا ذلك وكان الخط واضحاً وصحيحاً يمكننا القول كقاعدة ان الكتابة على الورق الابيض بحبر أسود يحسن الخط ويزيده صباحة .

وقد احتلت التجربة مكانة سامية في الغرب كما ذكرنا وتربعت على عرش المعرفة فيه وشكلت الحجر الأساس لكثير من الاختراعات والاكتشافات . ولا شك بأن الأغارقة والفلاسفة المسلمين سبقوا الغربيين في ان التجربة أداة من أدوات المعرفة وقد أثبتتها الشيخ الرئيس أبو علي سينا في كثير من اكتشافاته^(١) وورد عن آل البيت عليهم السلام كما ذكر من بحار الأنوار «الأمور بالتجربة والأعمال بالخبرة»^(٢) .

وكان لجابر بن حيان الكوفي ومحمد بن زكريا الرازي والرئيس بن سينا والحسن بن الهيثم ونصير الدين الطوسي وكثير من علماء الإسلام دور كبير في إثراء التجربة^(٣) .

الإلهام والإسراف

لم يكن لبحثنا هذا اية علاقة مع الأدوات الاولى سوى انها

(١) منطق الشفاء ص ٩٦ طبع مصر .

(٢) بحار الانوار ح ١٧ ١١٩ ط قديمة .

(٣) نظرية المعرفة ص ١٧٦ ط بيروت الشيخ سبحاني .

تشترك مع الإشراق بأن بعضها مقدمة للوصول إلى الإلهام والإشراق وذكرناها هنا مختصرة لأن كل من يتعرض لهذا الموضوع لا بد له من توضيحات ومقدمات والمادي حيث يعتقد بتساوي الوجود مع المادة لا يرى للغيب والمعارف المفاضة منه إلى قلوب العرفاء والأولياء مفهوما صحيحا وربما يخطئه أو يسكت عنه قائلًا بأن العلم والمختبرات لم تكشف عنه شيئا.

وأما الإلهي المعتقد بكون دائرة الوجود أوسع من المادة فيعتقد بأن هناك شهادة وهناك غيبا وأنه يمكن للإنسان أن يتصل بعالم الغيب ويقف على أشياء لا يقف عليه لا بحسه ولا بعقله وليست حقيقة هذا الوقوف إلا إفاضة المعاني والحقائق والصور من ذلك العالم إلى نفس العارف السالك المطهر من درن المعاصي ورذائل الاوصاف.

وأما كيف يتصل الإنسان المأسور بالمادة بعالم الغيب فإليك بيانه إن النفس الإنسانية بمنزلة المرأة تنعكس على صفحاتها حقائق الأشياء من عالم الغيب فيقف على صور ومعاني لا يمكن الوقوف عليها بالحس والعقل ولكن كما ان الانعكاس الصور من الخارج على المرأة يتوقف على صفاتها ووجود شرائط تمكن من انعكاسها عليها مثل وقوعها في زاوية خاصة وارتفاع الحجب بينها وبين المرئي، كذلك لا بد في انعكاس حقائق الأشياء من عالم الغيب من صفاء النفس وصقلاتها وطهارتها من آثار الذنب والعصيان وكل مناف للأخلاق والشيم وتحررها من قيود الطبيعة حتى يسمع كلام جنود ربه ووحيتهم. ويصف العرفاء الشرائط اللازمة لا مكان التلقي من الغيب في أمور لا بد من تحققها.

١ - عدم نقصان جوهرها بأن لا تكون النفس كنفس الصبي التي لا تتجلى لها المعلومات لنقصانها.

٢ - صفاؤها، عن كدورات ظلمة الطبيعة وخبائث المعاصي وهو بمنزلة الصقل عن الخبث والصدأ.

٣ - توجيهها الكامل إلى عالم الغيب وانصراف فكرها إلى المطلوب بأن لا

تكون غارقة في الأمور الدنوية وهو بمنزلة محاذاة المرأة.

٤ - تجليتها عن التعصب والتقليد وهو بمنزلة ارتفاع الحجب وربما يزيدون قولهم.

٥ - التوصل إلى المطلوب بتأليف مقدمات مناسبة للوصول إليه على الترتيب المخصوص والشرائط المقررة.

فإذا ارتفعت حجب العصبية والسيئات عن النفس وحازت شطر الحق الأول (الله جل وعلا) تجلت لها صورة عالم الملك والشهادة إجمالاً بحسب ما تستطيعه من الأخذ والتلقي.

وما يتلقاه الإنسان الطاهر من عالم الغيب بلا إعمال الحس والعقل إن كان راجعاً إلى شخص الإنسان. يسمى إلهاماً تارة وإشراقاً أخرى وإن كان راجعاً إلى تربيته الناس وتكميل نفوسهم بتشريع قوانين وتعاليم يرتقي بها المجتمع إلى الكمال فيسمى وحياً والإنسان المتلقّي نبياً^(١).

(١) نظرية المعرفة الشيخ السبحاني ط بيروت ص ١٨٠ تقرير تلميذه حسن مكي

«الضلاف الهاد في المعرفة بين العقل والقلب»

بعض من يدعي الإلهام والإشراق لا يعيئون بمعارف العقل فضلاً عن المصادر الأخرى ويشبهون بمن يمشي طريق المعرفة بالعقل بمن يمشي برجل خشبية ومن المفيد أن ننقل هنا هذه القصة وهي طريفة جرت بين أبو علي ابن سينا المتوفي سنة ٤٢٨هـ وهو من أشهر الفلاسفة العقليين وبين الشيخ أبو سعيد الخير وهو من أشهر الفلاسفة الإشراقيين في زمانه.

تقول القصة: انهما اختليا لمدة ثلاثة أيام بلياليها فكانا لا يخرجان إلا لصلاة الجماعة وبعد هذه المحادثة والخلة المديدة المستمرة خلال هذه الايام الثلاثة خرجا وافترقا.

فسئل ابن سينا كيف وجدت صاحبك؟ فقال: يعلم ما اعلمه، ثم سئل أبو سعيد أبو الخير كيف وجدت صاحبك، فقال: أرى ان هذا الأعمى كان يتبعني حيث ذهبت معتمدا على عصاه وهو يقصد بذلك العقل^(١).

العرفاني يحتكر الكشف له وحده ولكنه لا يمنع العقل من الوصول بعد حين ونحن نرى أن الشريعة جمعت بين الكشفين فركزت على العقل كما نرى في القرآن الكريم الآيات المباركة التي تركز على العقل بلغت حدا كبيرا زادت على الخمسين ومراداتها مثل أولي النهي وذو الحجر وأولي الالباب وأصحاب القلوب أيضاً لا يقل عن ذلك.

(١) محاضرات في أصول الدين السيد صدر القبنجي ص ١١٠

وبما ان الكشف قضية تحتاج إلى رياضة روحية وصفاء نفسي كبير
حث الآيات الكريمة عليه ويكفي هذه الآية المباركة في سورة الهمزة .

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥٦﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٥٧﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا
عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٥٨﴾﴾ لهذا وجه القرآن المسلمين لهذا الصفاء بمقدمات
قريبة وبعيدة من خلال وضع هيكلية تربوية عامة توصل الإنسان
المؤمن إلى حالة يقين وبهذا أحزار المقدمتين ونتائج هذه التربية
الرائعة .

ولسنا في صدد أيهما نفعا لأننا لو وضعنا قائمة وشرحنا كل
فائدة من العقل وكل فائدة من القلب المجرح بالغرام الألهي
والمحترق بلواعج الاشواق لوجدنا ان فوائد القسم الأول أفضل
واكثر حيث الاعم الاغلب من العلماء يعتمدون على طريقة العقل
والاقلون من الاقطاب يعتمدون على الكشف القلبي والروحي وبهذا
لا بد من احترام الطريقتين الأول لفائدته والثاني لوجود اقطابه وانهم
ملح الأرض .

ولا ننسى ان بعض الاقطاب كان يجمع في كشفه بين العقل
والقلب كما سيظهر معنا وما جاء في القرآن من آيات تحرك العقل
وتفتح القلب دليل مهم على ان القرآن دعا الجميع لاحترام العقل
وخذ إليك الآية المباركة ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١)
فالنظر يستدعي التأمل العقلي وهي دعوة من خالق العقل والقلب
وهو احترام وتقدير لقيمة العقل ومعارفه والإشراقي أيضاً محترم لأنه
يعرف ذلك من خلال القلب وكلاهما يستضيء بنور القرآن .

(١) سورة يونس الآية ١٠١

نناء على العرفان

قال الشيخ أبو علي بن سينا في حق العرفان: إن للعارفين مقامات ودرجات يخصون بها وهم في حياتهم الدنيا دون غيرهم فكأنهم وهم في جلايب من أبدانهم قد نضّوها وتجردوا عنها إلى عالم القدس ولهم أمور خفية فيهم وأمر ظاهرة عنهم يستنكرها من ينكرها ويستكبرها من يعرفها.

وقال المحقق أستاذ الحكماء الشيخ نصير الدين الطوسي في شرح كلام الرئيس: «إن نفوسهم الكاملة - أي العرفاء - وإن كانت في ظاهر الحال ملتحفة بجلايب الأبدان لكنها كأن قد خلعت تلك الجلايب وتجردت عن جميع الشوائب المادية وخلصت إلى عالم القدس متصلة بتلك الذوات الكاملة البريئة من النقصان والشر ولهم أمور خفية وهي مشاهداتهم لما تعجز عن إدراكه الأوهام وتكل عن بيانه اللسنة وابتهاجاتهم بما لا عين رأت ولا إذن سمعت»^(١) وقد أشار صدر المتألهين إلى إمكان الإلهام بوجه عام.

«إن الروح الإنسانية إذا تجردت عن البدن مهاجرة إلى ربها لمشاهدة آياته الكبرى وتطهرت عن المعاصي والشهوات والتعلقات لاح لها نور المعرفة والإيمان بالله وملكوته الأعلى وهذا النور إذا تأكد وتجوهر كان جوهرًا قدسيًا يسمى عند الحكماء في لسان الحكمة النظرية بالعقل الفعال وفي لسان الشريعة النبوية بالروح القدسي.

وقال إذا اعرضت النفس عن دواعي الطبيعة وظلمات الهوى

(١) الإشارات مع شرحه ح ٣ مقامات العارفين ص ٣٦٣ - ٣٦٤.

وولت بوجهها شطر الحق وتلقاء عالم الملكوت اتصلت بالسعادة القصوى فلاح لها سر الملكوت وانعكس عليها قدس اللاهوت»^(١).

«الإمام الضميني والعرفاء»

جاء في كتاب سر الصلاة ان الإمام (رض) اهدى هذا الكتاب لابنه السيد أحمد رحمه الله.

بعد مقدمات يقول: أي بني الكتاب الذي اهديه إليك هو نفحة عن صلاة العارفين والسلوك المعنوي لأهل السلوك على الرغم من ان قلم امثالي عاجز عن تبيان مسيرة هذا السفر واعترف بأن ما كتبه لا يخرج عن حد بعض الألفاظ والعبارات فأنا لم أحصل إلى الآن على باقة من هذه النفحة.

ولدي ان ما في هذا المعراج هو الغاية القصوى لآمال أهل المعرفة وقد قصرت ايدينا عنها «لم الشباك فالعناء لا تصبح صيدا لأحد».

ولكن!! لا ينبغي اليأس من ألطاف الله الرحمن، فهو - جل وعلا أ الآخذ بأيدي الضعفاء ومعين الفقراء.

عزيزي الكلام هو في السفر من الخلق إلى الحق تعالى ومن الكثرة إلى الوحدة ومن الناسوت إلى ما فوق الجبروت إلى حد الفناء المطلق الذي يحصل في السجدة الاولى والفناء عن الفناء وهو الذي يقع في السجدة الثانية بعد الصحو وهذا هو تمام قوس الوجود «من الله والى الله» وفي تلك الحال ليس هناك ساجد ومسجود له

(١) الأسفار الأربعة ج ٧ ص ٢٤ - ٢٥.

ولا عابد ومعبود هو الأول والآخر والظاهر والباطن ولدي ما اوصيك به بالدرجة الأولى هو ان لا تنكر مقامات أهل المعرفة فالانكار سنة الجهال واتق معاشره منكري مقامات الأولياء فهم قطاع طريق الحق تعالى. بني تحرر من حب النفس والعجب فهما إرث الشيطان فبالعجب وحب النفس تمرد إبليس على أمر الله - تعالى - بالخضوع لولي الله وصفيه، جلّ وعلا^(١).

الشهيد الثاني (درس)

يقول العارف الكبير الشيخ زين الدين بن علي بن أحمد العاملي الشامي المعروف بالشهيد الثاني في كتابه منية المريد في آداب المفيد والمستفيد (ص ٣٨ - ط دار المرتضى بيروت).

نقلاً عن بعض الأعاظم من العرفاء:

العلماء ثلاثة عالم بالله غير عالم بأمر الله فهو عبد استولت المعرفة الإلهية على قلبه فصار مستغرقاً لمشاهدة نور الجلال والكبرياء فلا يتفرغ لتعلم علم الأحكام إلا ما لا بد منه وعالم بأمر الله غير عالم بالله وهو الذي يعرف الحلال والحرام ودقائق الأحكام، لكنه لا يعرف أسرار جلال الله وعالم بالله وبأمر الله فهو جالس على حد المشترك بين عالم المعقولات وعالم المحسومات. فهو تارة مع الله بالحب وتارة مع الخلق بالشفقة والرحمة فإذا رجع من ربه إلى الخلق صار معهم كواحد منهم كأنه لا يعرف الله وإذا خلا بربه مشغلاً بذكره وخدمته فكأنه لا يعرف الخلق فهذا سبيل

(١) سر الصلاة مقدمة المؤلف ص ٣٩.

المرسلين والصديقين وهو المراد بقوله ﷺ سائل العلماء وخالط الحكماء وجالس الكبراء.

والمراد بقوله: سائل العلماء - العلماء بأمر الله غير العالمين بالله فأمر بمسائلتهم عند الحاجة إلى الإستثناء. وأما الحكماء فهم العالمون بالله. الذين لا يعلمون أوامر الله فأمر الله بمخالطتهم وأما الكبراء فهم العالمون فأمر بمجالستهم لأن في مجالستهم خير الدنيا والأخرة. ثم قال:

ولكل واحد من الثلاثة ثلاث علامات فللعالم بأمر الله الذكر باللسان دون القلب والخوف من الخلق دون الرب والإستحياء من الناس في الظاهر ولا يستحي من الله في السر.

والعالم بالله ذاكر خائف مستحي. أما الذكر فذكر القلب لا اللسان والخوف خوف الرجاء لا خوف المعصية والحياء حياء ما يخطر على القلب لا حياء الظاهر.

وأما العالم بالله وأمره له ستة أشياء الثلاثة المذكورة للعالم بالله فقط مع ثلاثة أخرى: كونه جالسا على الحد المشترك بين عالم الغيب وعالم الشهادة وكونه معلما للمسلمين وكونه بحيث يحتاج الفريقان الأولان إليه وهو مستغن عنهما.

فمثل العالم بالله و بأمر الله كمثل الشمس لا تزيد و لا تنقص , ومثل العالم بالله فقط كمثل القمر يكمل تارة وينقص تارة أخرى ومثل العالم بأمر الله كمثل السراج يحرق نفسه ويضيء غيره. انتهى الكلام^(١).

(١) منية المريد ص ٣٨ ط بيروت دار المرتضى.

وهذا كلام واضح وصريح على درر العلماء بالله الذين أخلصوا
لربهم فاختارهم إليهم واحترقوا بأنواره فصفت أرواحهم وقلوبهم فهم
في سعادة دائمة مغمورون في فيضها تخدمهم الملائكة ويتذوقون
معنى حلاوة الحب الالهي .

وقد ذكر شيخ العارفين الشيخ جواد بن عباس الكربلائي في
كتابه الأنوار الساطعة في شرح الزيارة الجامعة^(١) .

واعلم أن من ركن إلى الدنيا ومال إليها أحرقه الله بناره فصار
رماداً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا وهذه صفة أرباب
الملك وأصحاب الدنيا ومن ركن إلى العقبى ومال إليها أحرقه الله
بناره فصار ذهباً خالصاً ينتفع به وهذه صفة أهل الآخرة وأرباب
الملكوت وأصحاب الجنة .

ومن ركن إلى الله ومال إليه أحرقه الله بنوره فصار جوهرًا فريدا
لا قيمة له ودرة يتيمة لا مثل لها في الدنيا والآخرة هذه صفة أهل
الله واحبائه وأوليائه .

ونقل أيضاً ان السابقين الأولين من الحكماء الإلهيين كانوا
أصحاب انسلاخ البدن وكانت هذه الصفة ديدناً وعادة وضعة معتادة
لهم وسنة شائعة فيهم وكانوا لا يعدون أحداً من الحكماء ما لم
يطلع على الجهة المقدسة أي تلك الأنوار القاهرة والأضواء القيومية
ولا من المتألهين ما لم يحصل له ملكة خلع البدن بالنسبة إليه
كقميص يخلعه تارة ويلبسه أخرى .

(١) الأنوار الساطعة في شرح الزيارة الجامعة ج ١ ص ١٣٨ .

فإذا بلغ الإنسان هذه المرتبة العظيمة والمنزلة الرفيعة التي هي (يتلوه في الذات الإلهية وبقاؤه ببقائه , فيسري الحق في الحقائق كلها . فيحصل له حق اليقين لسريانه بالذات الإلهية في عين مظاهرها أي بالعلم الإلهي .

فحق اليقين وجدان الحقائق الإلهية والكونية ولوازمها في ذاته ذوقا ووجدانا وعين اليقين شهودها بعين البصيرة . وعلم اليقين تصورها وإدراكها مطابقا لما في نفس الأمر , تعلم اليقين للعلماء الراسخين وعين اليقين للأولياء الكاملين وحق اليقين للأنبياء والأولياء الكاملين كل على حب ذوقه ووجدانه وأعلى مراتب هذه الدرجة لمحمد وآله الطاهرين عليهم أفضل الصلوات وأتم التسليم كما نطق بذلك الذكر الحكيم والأخبار الواردة عنهم عليه السلام .

الأسفار الأربعة

للسالكين من العرفاء والأولياء أسفار أربعة الأول: السفر من الخلق إلى الحق وثانيها السفر بالحق في الحق وثالثها يقابل الأول لأنه من الحق إلى الخلق بالحق والرابع يقابل الثاني من وجه لأنه السفر بالحق في الخلق^(١) .

وشرحها يخرجنا عما نحن فيه حيث يتحول إلى بحث عرفاني خالص بينما غرضنا عرض هذا المفهوم بشكل موجز لنصل إلى تطبيقات العنوان على الأولياء وخصوصاً أصحاب سيد الشهداء عليه السلام .

(١) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية تأليف صدر الدين الشيرازي م ٢ بيروت ص ١٣ .

العوالم الاربعة

إعلم ان العوالم أربعة:

الاول: عالم الأنوار القاهرة.

الثاني: عالم الأنوار المدبرة.

الثالث: البرزخان الفلكي والعنصري.

الرابع: الصور المعلقة التي تسمى بالأشباح المجردة والأشباح الأخروية.

واعلم ان المعارف الحقيقية لا تحصل الا بالانقطاع عن الدنيا والسير إلى الله وهي محرمة على علماء الدنيا الراغبين فيها لأن هذه العلوم علوم ذوقية ومقامات كشفية مبناها على الذوق والوجدان القلبي ويتعذر تحصيلها مع محبي الجاه والترفع. وهذا بخلاف سائر العلوم فإنها تجتمع مع محبة الدنيا بل ربما كانت معينة على اكتسابها لما ترى من المشتغلين تحمل المشاق وسهر الليالي والتكرار أثناء الليل واطراف النهار والصبر على الغربة والاسفار كل ذلك لأجل الجاه الوهمي والتصدر الخيالي والتبسط في البلاد والترفع على العباد. وأما علوم الآخرة فلا تحصل الا برفض محبة الدنيا عن القلوب ومجانبة الهوى. والحاصل انه من لا كشف له قلبا لا علم له حقيقة بالآخرة ونسبة البصيرة القلبية إلى مدركاتها كنسبة البصر الظاهري إلى مدركاتها فكما ان للبصر نورا كلما يقع في ذلك النور فهو يدركه فكذا البصيرة نور كلما يقع فيه فهو يدركه ولا يدرك حقيقة هذا النور الا من له نور ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾ واعلم انه ان كان الكمال والنور بحيث لا يمكن اكمل منه ولا

انور كان جميع الأشياء واقعة في نوره بل يكون نوره نافذا في الكل متصرفا فيها محيطا بها أزلا وأبدا كالواجب تعالى قال ﷺ : نور كله نور لا ظلمة فيه فلا محاله لا انور منه وبعبارة أخرى لا تظهر صورة الفرد الاحد من حقائق أسمائه الا في النفس الفردانية التي صارت مرآة الله ومرآة الله لا تشبهها مرآة الاجسام ونعم ما قيل : إذا وضعت على سواد عينيك جزء من الدنيا لا ترى شيئا واذا وضعت على سويداء قلبك كل الدنيا فكيف ترى بقلبك شيئا^(١).

وهذا بحث قل وراده فالتقليل منه أفضل والاختصار به أجمل .
ونعود إلى طريق السالكين

الإلهام والإشراق وعلماء الغرب

ان علماء الغرب كانوا غارقين في العلوم الطبيعية فلم يبحثوا عن هذا النوع من أدوات المعرفة الا عابرا ومن ابرز من التفت إلى هذه الأدوات هو الفيلسوف الفرنسي (هنري بركسن) في آراء منفردة له في الاوساط الغربية حيث قال ان الإنسان انما يدرك بعقله ظواهر الأشياء وقشورها وأما إدراك حقائقها فإنما يتم له بالمراقبة المستمرة التي تنتهي إلى المكاشفة وشهود الوقائع فمثل من يريد درك الحقائق عن طريق العقل كمثل من يريد ان يطلع على ما في البيت بتفحص جدرانها وسطوحه من الخارج . واما من يريد درك الحقيقة بالالهام والإشراق فمثله مثل من يلج البيت ويتفحص الأشياء الموجود فيه واحدة بعد الاخرى .

(١) ١٦٤ المصدر السابق .

كما ان عدة من المكتشفين والمخترعين ادعوا ان الإلهام كان العامل الوحيد لانتقالهم إلى بعض المكتشفات والمخترعات وربما ادعوا انهم الهمو أموراً وهم في غفلة وعدم اشتغال بالكشف والاختبار. وقد اعترف من اعترف منهم بهذه الاداة من دون ان يحدد طريق الوصول اليها وكيفية الاستضاءة بها وبعبارة أخرى هم حددوا طريق المعرفة بآلية الحس والعقل فطرحوا مباحث قيمة في كيفية الاستضاءة بها وازالة الموانع التي تعرقل مسيرة الإنسان لاكتساب المعرفة بهما ولكنهم سكتوا عن آلية الإشراق وأنه كيف يصل الإنسان إلى تلك الاداة وكيف يستضيء منها وما هي معدتها وشرائطها وما هي موانعها.

الا ان العرفاء الإسلاميين حرروا هذا الجانب فكشفوا عن آلية القلب^(١) وقالوا إن الإنسان يصل إلى مرتبة خاصة من الاستشراق والاستلهم إذا طوى منازل خاصة وهي:

- ١ - اليقظة ٢ - التوبة ٣ - المحاسبة ٤ - الإنابة ٥ - التفكر
- ٦ - التذكر ٧ - الاعتصام ٨ - الانقطاع ٩ - كبح جماح النفس
- ١٠ - درك اللطائف.

هذه بعض منازل السالكين وقد عدّها بعض إلى سبعين وبعضهم إلى سبعمائة وفيه تفصيلات كثيرة نحن الآن بغنى عنها. واليك بعض الملاحظات

(١) ليس المراد بالقلب الحجم الصنوبري الذي له وظيفة ضخ الدم إلى أجزاء البدن بل المراد نفس الإنسان وروحه الواعية وإليه يشير قوله سبحانه: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ والمقصود الإدراك الواعي.

١ - ان لطبي المنازل أثرين بارزين في الوقوف على المعارف .

أ - ان الباصرة الظاهرية تستطيع رؤية الأشياء القريبة فقط كما لو كنت في سيارتك على (دهر البيدر) وكانت هناك غطيطة (ضباب كثيف) فلا يمكن رؤية البعيد من الأشياء في هذا الضباب وأحسنهم من يرى أمامه ويمشي بهدوء تام حتى لا يصدّم غيره وقد لاحظنا كثيرين لم يعودوا يبصرون عن قريب فصدّموا غيرهم أو صدّموا الحائط أو تهوروا نحو الهاوية .

ب - أما الباصرة فهي مستعدة لرؤية البعيد مهما كانت كثافة الضباب . ان النفس الإنسانية قادرة على التعرف على الحقائق الموجودة في مجال الحس والعقل . لكن العصبية والهوى والمعاصي تعمي الإنسان فيعود منكرا للمحسوس والمعقول .

فأدنى أثر لطبي هذه المنازل هو صيرورة الإنسان إنسانا خالصا مجردا عن الهوى والعصبية التي تعمي فيصير كاملا لا يطلب الا الواقع ولا يعيش الا الحقيقة سواء كانت لصالحه أم لا ، وافقت الانتماء العرقي والقومي والعشائري أم لا .

٢ - ان طبي المنازل يعطي للنفس قوة واقتدارا على الاتصال بعالم الغيب وإشراق صور ومعان منه عليها ويلهم مفاهيم وحقائق لا يتوصل الإنسان العادي اليها بأدوات المعرفة الحسية والعقلية .

وعلماء الأخلاق يوصون بأمور، ويحذرون من أمور: يوصون بالإيثار والتقوى والشجاعة والاستقامة ويحذرون من البخل والانحلال والجبن والانخزال ولكنهم يكتفون بالايصاء بتلك والتحذير من هذه من دون الافاضة في كيفية توصل الإنسان اليها

وأنه في ظل أي عامل يقدر على تحصيل الفضائل وتحت أي حافز يستطيع اجتناب الرذائل .

وهذه النقطة قد أهملت في كتب الأخلاق فلا تجد فيها سوى الدعوة إلى الفضائل ولزوم اجتنابها من دون بيان الطريق التي يصل بها الإنسان إلى تلك الامنية الكبرى . وقد سد العرفاء الإسلاميون هذه الثغرة وبينوا الوسيلة التي يبلغ بها الإنسان تلك الامنية وهي سلوك المنازل العشرة المتقدم ذكرها ليصير الإنسان إنساناً كاملاً ذا حس وعقل وشهود^(١) .

الفلسفة والعرفان

يشارك الفلاسفة والعرفاء في الرياضة والاوراد والأخلاق والشريعة ويختلفون معهم في العلم اللدني أو الكشف الروحي والوصول إلى عالم الحقائق .

ولا بد لنا من بعض الإيضاحات وذكر الفوارق بينهما .

أولاً: الفلسفة هي الباحث عن الحقيقة وبالفلسفة ينضج عقل الإنسان ويصح تفكيره متجنباً السطحيات في التصور والأحكام ولذا فإن موضوع الفلسفة هو البحث متجنباً عن ثلاثة أنواع من الادراكات .

أ - الادراكات الحقيقية وما تسمى بالحقائق أيضاً وهي التي لها مصاديق في الخارج كأفراد البشر زيد وعمر .

ب - الاعتبارات وهي المفاهيم التي ليس لها مصاديق في

(١) نظرية المعرفة الشيخ السبحاني تقريرات تلميذه حسن مكي ص ١٨٧ ط بيروت .

الخارج ولكن للعقل ان يفترض لها مصاديق في الخارج مثل افتراض جبل من ياقوت أو بحر من زئبق ومن هنا قالوا الاعتبار سهل المؤنة .

ج - الوهميات وهي الادراكات التي ليس لها مصاديق في الخارج ولا في الذهن وهي تصورات باطلة^(١) .

والفيلسوف وحده هو القادر على التمييز بين الادراكات الحقيقية وغيرها ومهمة الفيلسوف البحث للوصول إلى الحقيقة وهي امنية الانبياء ﷺ فقد روى عن النبي ﷺ انه قال: اللهم أرني الأشياء كما هي .

الثاني: العرفان هو الطريقة السلوكية بتزكية الباطن^(٢) للوصول إلى هدف الاهداف وهو التوحيد أو الفناء في الحق .

الثالث: العرفانيون هم الفلاسفة الذين سلكوا أقرب الطرق لمعرفة الجبار بتزكية الباطن وتطهير النفس .

الرابع: التفسير العرفاني للوجود وبعبارة أخرى أ الرؤية العرفانية لعالم الوجود تختلف اختلافاً عميقاً عن تفسير الفلسفة للوجود ففي نظر الفيلسوف الإلهي كما ان الله أصالة فلغيره أصالة فالله موجود وغيره موجود الا ان الله واجب الوجود وقائم بالذات وغير الله ممكن الوجود وقائم بالغير ومعلول لواجب الوجود .

اما في نظر العارف فالأشياء أو كل ما هو غير الله أو كل ما تعنون به في مقابل الله فرغم انه معلول لله فلا وجود له في الحقيقة

(١) العلامة الطباطبائي أصول الفلسفة ح ١ ص ٢٥ .

(٢) مر معنا قبل قليل ان المقصود من القلب هو الوعي والادراك .

بل ان وجود الله هو الذي اعطى هذه الأشياء بتلك الصفة يعني ان كل شيء أو كل الأشياء إنما هي أسماء وشؤون وصفات وتجليات لله عزوجل وليست أموراً مقابلة له .

ان رؤية الفيلسوف تختلف عن رؤية العارف بالفيلسوف يريد فهم الكون أي يريد ايجاد صورة صحيحة جامعة وكاملة نسبيا عن العالم كما اكتشفه بعقله بحيث يرى العالم في وجوده هو وجودا عقلانيا ولهذا قيل في تعريف الفلسفة هي صيرورة الإنسان عالما عقليا مضاهيا للعالم العيني يعني ان الفيلسوف عبارة عن إنسان عالمي يصير عقليا شبيها للعالم العيني الحي .

ولكن العارف له منهج آخر وأسلوب مغاير نوعا ما عن أسلوب ومنهج الفيلسوف فالعارف يريد الوصول إلى كنه وحقيقة الوجود الذي هو الله والاتصال به والوصول إلى حالة الشهود ففي نظر العارف ليس الكمال الإنساني في التطور الصرف للوجود في ذهنه بل هو يريد العودة والفاصلة بينه وبين ذات الحق وان يتحول في بساط القرب من نفسه الفانية إلى البقاء بالله عزوجل .

يتضح إذن ان أداة الفيلسوف هي العقل والمنطق والاستدلال للوصول إلى النتيجة بينما أداة العارف هي القلب^(١) والمجاهدة والتصفية والتهديب والحركة والتفحص الباطني .

ان عبارة أهل العرفان تختلف بالمضمون عن عبارة الفلاسفة بالفيلسوف العقلي يتأمل ويكثر التأمل في كل شيء ويفسر الأشياء كما العبادة تفسيرا عقليا فيحد حدودها ويقسم أجزاءها ويبين صحتها

(١) مر تفسير القلب معنا .

ويلاحظ فوات الحرف والشدة والكلمة ويلتفت إلى مخارجها وينتبه إلى المد والادغام والمتعرجات والمنحنيات ويبقى كما هو ملتفتا واعيا بصيرا بصحة الصلاة ويحكم كما يحكم الفقهاء بصحة الصلاة أو بطلانها بناء على الاتيان بها وفق القواعد الأساسية للشرعية وانها جاءت منتظمة ومنسجمة وفق الأحكام العامة في الشريعة.

ويذهب ابن سينا في هذا المجال ليفسر العبادة بأنها اتيان الفرائض والنوافل والمواظبة على الأعمال العبادية اعم من الواجب والمستحب كالصيام والصلاة وما شابه فمن يكون متصفا بهذا الوصف الثبوتي والتحصيلي يكون عابدا ويفسر الزهد بالاعراض عن الدنيا ولذاتها ونعيمها وطيباتها فمن يصرف نفسه عنها وهو قادر عليها فهو زاهد.

وينتقل بعد ذلك ليعرف العرفان بالتوجه الباطني المستمر والانصراف الفكري نحو قدس الجبروت لأجل إشعاع نور الحق فمن يمتلك هذا الوصف النفساني ويوفق في جميع الخواطر النفسانية يكن عارفاً.

وأحياناً يجتمع الزهد مع العبادة أو الزهد مع العرفان أو العبادة مع العرفان أو كلاهما مع العرفان.

طبعاً أصل العرفان لا يتيسر دون المقدار اللازم من الزهد والعبادة وإن كان الزهد دون العرفان ممكناً ذلك لأنه في الدرجات الطويلة حفظ المرتبة الاقل في المرتبة الأعلى لازم دوماً.

أما عبادة العارف فهي ترويض كل الطاقات لترك حدود الطبيعة والتحرر للوصول إلى منطقة ما وراء الطبيعة وإلى أوج عروج الأولياء

لئلا يتسلل شيء إلى حريم حرم أمن القلب أثناء تجلي الحق، ويلوثة ولكي يكون ثابتاً له بنحو الملكة وكلما أراد باطنه شهود شروق الحق يتم ذلك دون مزاحمة خاطر أو رغبة ويقود قواه الخيالية والوهمية ودوافعه ليصير بتمام وجوده في سلك القدس ورباط القداسة^(١).

ما ورد في كلام أبو علي بن سينا رحمه الله حول العرفاء نجد أسسه قد أخذت من النصوص الدينية وخصوصاً ما قاله الإمام السجاد عليه السلام في الصحيفة السجادية من كلام في هذا المورد وغيره حيث يصف العارفين بأنهم «قرت بالنظر إلى محبوبهم اعينهم».

اضافة إلى كلام امير المؤمنين امير البيان الإمام علي عليه السلام الذي قال في وصف المتقين «عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في اعينهم». إلى غيرها الكثير من الاقوال والادعية التي تناقلتها ألسنة العباد والعرفاء المأثورة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام.

يقول الفيض الكاشاني في مقدمة كتابه المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء العلم الذي يتوجه به إلى الآخرة ينقسم إلى علم المعاملة وإلى علم المكاشفة وأعني بعلم المكاشفة ما يطلب منه كشف المعلوم فقط وأعني بعلم المعاملة ما يطلب منه مع كشف العمل به، والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط دون المكاشفة التي لا رخصة في ايداعها الكتب وإن كانت هي غاية مقصد الطالبين ومطمع نظر الصديقين وعلم المعاملة طريق إليه ولكن لم يتكلم الانبياء صلوات الله عليهم مع الخلق الا في علم الطريق والارشاد إليه وأما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه الا بالرمز على

(١) الإشارات والتنبيهات الفصل ٣ - ٤ .

سبيل التمثيل والاجمال علما منه بقصور أفهام الخلق عن الاحتمال^(١).

ونقل عن الإمام السجاد علي بن الحسين عليه السلام عنوان أهل المكاشفة قوله:

إنني لأكتم من علمي جواهره كي لا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا
وقد تقدم في هذا أبو حسن الى الحسين وأوصى قبله الحسن
يا رب جوهر علم لو ابوح به لقليل لي انت ممن يعبد الوثنا
ولاستحلّ رجال مسلمون دمي يرون اقبح ما يأتونه حسنا^(٢)

السريعة والطريقة الحقيقية

يعتقد فقهاء الإسلام ان المقررات والقواعد الإسلامية تتلخص في ثلاثة عناوين:

أولاً: أصول العقائد والذي يتكفل به علم الكلام في المسائل المرتبطة بأصول العقائد. يجب على الإنسان الإيمان والاعتقاد بها عن طريق العقل إيماناً واعتقاداً راسخين لا يتزلزلان.

ثانياً: الأخلاق، وفي هذا القسم تم تبيان القواعد والأمور التي تحدد وظائف الإنسان بصدد الفضائل والرذائل الأخلاقية وقد مر معنا قبل قليل ان العالم المتأله الفيض الكاشاني سماه بعلم المعاملة. وذكرها العالم العرفاني الشيخ محمد مهدي النراقي في كتابه جامع السعادات تحت عنوان: أجناس الفضائل وتربية النفس.

(١) الفيض الكاشاني المحجة البيضاء ج ١ ص ٦.

(٢) بحوث في شخصية الإمام الخميني للمؤلف ص ٤٥.

ثالثاً: الأحكام المتعلقة بالأعمال والسلوك الخارجي للإنسان
ويتكفل بها علم الفقه.

هذه الأقسام بعضها منفصل عن البعض الآخر. قسم العقائد يرتبط بالعقل والفكر وقسم الأخلاق يرتبط بالنفس والعادات والملكات النفسانية وقسم الأحكام يرتبط بالأعضاء والجوارح.

العرفاء يسلمون بالاصطلاحات الثلاث ويقولون كل الطرق تنتهي إلى الله وكل المصالح والحقائق ما هي الا نوع من انواع الشرائط والامكانات والوسائل والموجبات التي تسوق الإنسان إلى الله عزوجل كما يعتقد العرفاء ان باطن الشريعة هو طريق ويسمونه بالطريقة وآخر هذا الطريق الحقيقة أي التوحيد بالمعنى الذي تقدم سابقا والذي يتلمسه ويصل إليه بعد الفناء والإخلاص وخلاص العارف من ذاته وأنايته لكن العرفاء في مجال العقائد لا يعتقدون بكفاية الاعتقاد الذهني والعقلي الصرف، ويدعون أن ما يجب الاعتقاد به يجب الوصول إليه ولا بد من العمل على ازالة الحجب والاستار بين تلك الحقائق وهكذا.

وقد بينا ان العرفان العملي هو الذي يوضح ارتباط الإنسان وعلاقاته بنفسه وربّه وبالعالم والعرفان في هذا القسم يشبه علم الأخلاق بزيارة وضع آلية طي المنازل العشرة أو السبعين المذكورة عندهم.

بحيث يتضح للسالك كيفية الوصول إلى القمة المنيعة للإنسان وهي التوحيد ومن اين يجب ان يبدأ وما هي المنازل والمراحل التي يجب طيها بالترتيب. وهنا قدرة أهل العرفان وتفوقهم على علماء الأخلاق. وبالطبع يجب على السالك ان يترسم خطى إنسان كامل

وناضح بصير ومستوعب وقد طوى هذه الطريق من قبل بإشرافه ومراقبته وإذا لم يرع هذا الطموح وهذا الجهد إنسان كامل في هذا الطريق ففي ذلك خطر الضلال والانحراف.

إن العرفاء يدعون الإنسان الكامل الذي يرافق المسافرين ويرشدهم يدعونه حيناً بطائر «القدس» وحيناً آخر بالخضر عليه السلام.

كن في رعاية همتي يا طائر القدس سفري طويل والنوى لم تبله نفسي عند الشدائد لا تفارق صحبة الخضر تأمن ضياعاً في الظلام وقسوة الوعر^(١)

تفسير الطريقة بالإيمان

المراد بالطريقة هو المشي وفق السنة المحمدية التي توصل إلى الإيمان والالتزام بالظواهر مقدمة إلى لب الأمور والأحكام التي يعبر عنه بالحقيقة أي حقيقة الشيء له ومثاله القشر الذي يحفظ اللب إذ لولا القشر وحرصه وضبطه لللب لما بقي لللب صحيحاً صالحاً للأكل.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْوِاسْطِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾. يقول صاحب مجمع البيان والأولى أن تكون الاستقامة على الطريقة محمولة على الاستقامة في الدين طبق الوظائف الدينية.

وفي تفسير أهل البيت عليهم السلام عن أبي بصير قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام قول الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ قال: هو ما أنتم عليه.

(١) العرفان مطهري ص ٦٧.

وفي رواية يونس بن يعقوب عن أبي جعفر عليه السلام لو استقاموا على ولاية علي بن أبي طالب والاولياء من ولده عليه السلام ^(١).

خُلُطُ الْأُورَاقِ

تحت عناوين بريقة تمكن مجموعة من أعداء الدين المندسين في لباس المحدثين أو المتعلمين من تسوية كثير من المعارف الإسلامية واستمر هذا التضييل فترة غير بعيدة حتى وجد له جماعات تبناه ومن هؤلاء الذين اطلق عليهم الصوفية، وهم مجموعة أخذوا أفكاراً من جميع الملل السابقة ومن الفلسفات والرياضيات الهندسية وادخلوها تحت جناح الظلام في طقوس إسلامية وتجلببوا بلباس الدين فخفي الفهم الصحيح على الأذهان لكثرة البدع وكثرة الطرائق المتبعة حديثاً وما فيها من أوراد وأذكار مخلوطة بالطبل والزمر والدق والرقص والتشبيب والعشق وهذا من المفاسد الكبرى التي سرى مفعولها في ثقافة الأمة.

يقول علي عليه السلام في نهج البلاغة: «إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع وأحكام تبتدع يخالف فيها كتاب الله ويتولى عليها رجال رجالاً على غير دين الله. فلو أن الباطل خلص من مزج الحق لم يخف على المرتادين ولو أن الحق خلص من لبس الباطل انقطعت ألسن المعاندين ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضعث فيمزجان فهنالك يستولي الشيطان على أولياء وينجوا ﴿الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِّنَّا الْحُسْنَى﴾ ^(٢).

(١) الأنوار الساطعة ص ٢٧٠ ج ١.

(٢) الأنوار الساطعة ص ٢٧٠ ج ١، نهج البلاغة ص ٥٠.

واذا ظهر ان معركة الضلال الشرسة هي السبب الاقوى في تمزيق الامة لا بد من معرفة هؤلاء الضلال والابتعاد عنهم حتى تبقى الاجواء الإسلامية نقية طاهرة صافية.

ولا شك أيضاً بأن الصوفية أصحاب البدع والضلالات هم اضر الناس على هذا الدين وشرعية سيد المرسلين ﷺ . فلا بد أولاً من معرفتهم ومعرفة ضلالاتهم وخزعاتهم وهي كثيرة (اليك ما ورد في حقهم عن الأئمة ﷺ).

ورد في سفينة البحار عن البزنطي واسماعيل بن بزيع عن الرضا ﷺ «من ذكر عنده الصوفية ولم ينكرها بلسانه وقلبه فليس منا ومن انكرهم فكأنما جاهد الكفار بين يدي رسول الله ﷺ». وفيه عن البزنطي أنه قال: قال رجل من أصحابنا للصادق جعفر بن محمد الصادق ﷺ . وقد ظهر في هذا الزمان قوم يقال لهم الصوفية فما تقول فيهم؟ قال ﷺ : إنهم اعداؤنا فمن مال اليهم فهو منهم ويحشر معهم وسيكون اقوام يدعون حبنا ويميلون إليهم ويتشبهون بهم ويلقبون أنفسهم بلقبهم ويؤولون أقوالهم الا فمن مال اليهم فليس منا وانا منهم براء ومن انكرهم ورد عليهم كان كمن جاهد الكفار بين يدي رسول الله ﷺ».

وفيه أيضاً باسناده عن أبي محمد الحسن العسكري ﷺ أنه قال سئل أبو عبد الله (جعفر الصادق ﷺ) عن حال أبي هاشم الكوفي فقال: انه كان فاسد العقيدة جدا وهو الذي ابتدع مذهبا يقال له التصوف وجعله مقرا لعقيدته الخبيثة.

وفيه عن السيد المرتضى بسنده عن الإمام الحسن العسكري ﷺ أنه قال لأبي هاشم الجعفري «يا ابا هاشم سيأتي

على الناس زمان وجوهم ضاحكة مستبشرة وقلوبهم منكدره، السنة فيهم بدعة والبدعة فيهم سنة، المؤمن بينهم محقر والفاسق بينهم موقر، امراؤهم جائرون وعلمائهم في ابواب الظلمة سائرون. أغنياءهم يسرقون زاد الفقراء وأصاغرهم يتقدمون على الكبراء كل جاهل عندهم خبير وكل مميل عندهم فقير لا يميزون بين المخلص والمرتاب ولا يعرفون الظأن من الذئاب علمائهم شرار خلق الله على وجه الأرض لأنهم يميلون إلى الفلسفة والتصوف. وايم الله إنهم من أهل العدوان والتحرف يبالغون في حب مخالفينا ويضلون شيعتنا ومواليينا فإن نالوا منصبا لم يشبعوا من الرشا وإن خذلوا عبدوا الله على الرياء. الا إنهم قطاع طريق المؤمنين والدعاة إلى نحلة الملحدين فمن أدركهم فليحذروا وليصن دينه وإيمانه.

ثم قال: يا ابا هاشم هذا ما حدثني أبي عن آبائه عن جعفر بن محمد عليه السلام وهو من أسرارنا فاكتبه الا من أهله.

وفيه أيضاً عنه - أي السيد المرتضى - بسنده عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب قال كنت مع الهادي عليه السلام في مسجد النبي ﷺ فأتاه جماعة من أصحابه منهم أبو هاشم الجعفري وكان رجلاً بليغاً وكانت له منزلة عظيمة عنده عليه السلام ثم دخل المسجد جماعة من الصوفية وجلسوا في جانب مستدير واخذوا بالتهليل.

فقال: لا تلتفتوا إلى هؤلاء الخداعين فإنهم حلفاء الشياطين ومخربوا قواعد الدين يتزهدون لراحة الاجسام ويتعبدون لتصييد الانعام يتجوعون عمراً حتى يذيلوا للاكاف حمراً لا يهللون الا لغرور الناس ولا يقللون الغذاء الا لملأ العساس واختلاس قلب الدفناس - الاحمق يكلمون الناس باملائهم في الحب ويطرحونهم

بادلائهم في الجب اورادهم الرقص والتصدية واذكارهم الترنيم والتغنية فلا يتبعهم الا السفهاء ولا يعتقدون الا الحمقاء. فمن ذهب إلى زيارة أحد منهم حيا أو ميتا فكأنما ذهب إلى زيارة الشيطان وعبد الاوثان ومن اعان أحدا منهم فكأنما أعان يزيد بن معاوية وأبا سفيان فقال له رجل من أصحابه وان كان معترفا بحقوقكم؟ فقال كيف يكون معترفا من يذهب إلى عقوقنا؟! اما تدري انهم أخس طوائف الصوفية والصوفية كلهم من مخالفينا وطريقتهم مغايرة لطريقتنا وان هم الا نصارى ومجوس هذه الامة اولئك الذين يجهدون في اطفاء نور الله والله متم نوره ولو كره الكافرون.

وفيه أيضاً عن شيخنا البهائي في كشكوله عن النبي ﷺ أنه قال لا تقوم الساعة على امتي حتى يقوم قوم من امتي اسمهم الصوفية ليسوا مني وانهم يحلقون للذكر ويرفعون أصواتهم يظنون انهم على طريقتي بل هم أضل من الكفار «وهم أهل النار». لهم شهيق كشهيق الحمام وقولهم كقول الفجار وهم معجبون بأعمالهم ليس لهم من عملهم الا التعب.

اكتفي بهذا النقل من كتاب الأنوار الساطعة ص ٢٧٦ واترك لمن يريد الاستزادة إلى مراجعة كتاب التصوف للعلامة السيد هاشم معروف.

تطبيقات إشراقية

قبل ان نصل إلى إشراقات كربلائية لا بد ان نقدم نماذج قرآنية لهذا الإشراق لأن الأصل في الإشراق هو القرآن ومنه تنطلق قافلة أهل الإشراق الذين استضاءوا بنور القرآن فلم يبق فيهم وفي أرواحهم شيء من كلام المادة وغبارها الآسن.

(آية النور . سورة النور ٣٤)

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ .

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾﴾ (١) .

ما أحلى كلمة - الله نور السموات والأرض - أجل إن الله نور السموات - النور الذي يغمر كل أجزائها ويضيء ما فوقها وما بينها وما تحتها فتبارك الله أحسن الخالقين . ويرى بعض المفسرين أن كلمة «النور» تعني الهادية ورأى البعض أنها المضئة وفسرها آخرون بالمزينة .

وكل هذه المعاني صحيحة سوى ان مفهوم هذه الآية اوسع بكثير مما ذكر فالقرآن المجيد والاحاديث الإسلامية فسرت النور بأشياء عدة منها :

- ١ - القرآن المجيد ذكر الآية ١٥ من سورة المائدة (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) وجاء في الآية ١٥٧ من سورة الاعراف (واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون)
- ٢ - الإيمان ذكرت الآية ٢٥٧ من سورة البقرة (الله ولي الذين آمنوا يخرجكم من الظلمات إلى النور) .

(١) سورة النور، الآيات ٣٥ - ٢٧ .

٣ - الهداية الإلهية (وقلب منور - مثلما جاء في الآية ١٢٢ من سورة الانعام) أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها)

٤ - الدين الإسلامي، كما نقرأ في الآية من سورة التوبة (ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون)

٥ - شخص النبي ﷺ نقرأ عن النبي ﷺ في الآية ٤٦ من سورة الاحزاب ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ .

٦ - الأئمة الأطهار، كما جاء في الزيارة الجامعة لهم «خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرشه محققين» وأنتم نور الأخيار وهداة الأبرار وهذان التفسيران أو قل المصداقان محطّ غرضنا حيث تزيد تطبيقات نورانية فالنبي ﷺ وآل بيته هم الأمثلة النورانية المضيئة التي نصبت أعلاما للأمة ومناورات للإنسانية وهم شمس هداية ونبراس معرفة وهم فجر الحياة ونسيمها وضوءها فقلوبهم وأرواحهم وعقولهم نور مجبولة بنوره من ظاهرها نور وباطنها نور والنور يخترق جسم الأرض والسماء والإنسان ويكشف كل شيء ولا يخفى عليه شيء فهم شهداء هذه الامة ومحورها وهدايتها ومعلموها وهم الأول والآخر والظاهر والباطن بهم فتح الله وبهم ختم علة الخلق في البدء وعلة الخلق في البقاء وهم غداً على الاعراف يعرفون كلا بسيماهم أوكل الله إليهم محاسبة الخلائق ولولا بركات أنوارهم وإشراقات أنظارهم لحار الخلق في دنياه وآخرته .

عب الملائك من أخلاقهم أدبا والخلق لولاهم كانوا بلا أدب^(١)

(١) من قصيدة للمؤلف - صدریات .

٧ - وأخيرا عرف العلم بالنور (العلم والمعرفة بالنور كما جاء في الحديث المشهور (العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء هدايته)

ولهذا السبب تقاس المسافات الهائلة بين النجوم فقط بسرعة النور والوحدة المستعملة في هذا المجال هي السنة الضوئية.

النور أجمل وألطف ما في العالم وهو مصدر لكل جمال ولطف والنور أسرع الأشياء وبالنور يمكن التعرف على كل شيء ومن دونه لا يمكن معرفة الأشياء. وضوء الشمس يعد من أهم أنواع النور في عالمنا ولولا نور الشمس لبات العالم في ظلام دامس.

ولو دققنا لوجدنا ان جميع أنواع الطاقة في محيطنا ما عدا الطاقة النووية مصدرها الشمس.

ولو دققنا في حركة جميع المخلوقات الحية لوجدناها ترتبط بنور الشمس وكل أنواع الحرارة متولدة من الشمس ونور الشمس قاتل ومطهر من الميكروبات والمخلوقات المضرة.

وكلما دققنا في عالم النور الذي يشكل ظاهرة فريدة يتضح لنا أثره البالغ.

وبكل ما ذكرنا يظهر أنه لا يمكن تشبيه رب العالمين بأحد من المخلوقات ولا نجد خيرا من النور الله الذي خلق كل شيء في عالم الوجود ونوره فأحيا المخلوقات الحية ببركته ورزقها من فضله ولو انقطعت رحمته لحظة لأصبح الجميع في ظلام الفناء والعدم.

ومما يلفت النظر أن كل مخلوق يرتبط بالله ومدى هذا الارتباط يجدد النور الذي يدخل إلى قلبه.

القرآن نور لأنه كلام الله والدين الإسلامي نور لأنه دينه .
الانبياء أنوار لأنهم رسله والأئمة المعصومون أنوار إلهية لأنهم حفظة
دينه بعد النبي ﷺ والإيمان نور لأنه رمز الالتحام به سبحانه
وتعالى . والعلم نور لأنه السبيل إلى معرفته ولهذا فالله نور السموات
والأرض . والجدير بالذكر ما جاء في الفقرة السابعة والاربعين من
دعاء الجوشن (يا نور النور يا منور النور يا خالق النور يا مدبر
النور يا مقدر النور يا نور كل نور يا نور قبل كل نور يا نور بعد
كل نور يا نور فوق كل نور يا نور ليس كمثله نور .)

وبهذا تكون أنوار الوجود لمعة من نوره وومضة من سناه
ويكون الانبياء والأئمة عليهم السلام شواخص هذا النور لأنهم نور النور
وصفوة الصفوة وطهر الطهر ورحمة الرحمة ونفحة الجنان وترجمان
القرآن وآيات منصوبات للدلالة على الملك العلام^(١) .

ويجدر ذكره ما ذكره قطب الأولياء محيي الدين بن عربي .
واعلم ايديك الله ان الامر يعطي - لولا النور ما أدرك شيء لا معلوم
ولا محسوس ولا متخيل أصلا وتختلف على النور الاسماء
الموضوعة للقوى، فهي عند العامة أسماء موضوعة للقوى وعند
العارفين أسماء للنور المدرك به . وإذا أدركت المسموعات سميت
ذلك النور سمعا وإذا أدركت المبصرات سميت ذلك النور بصرا وإذا
أدركت المحسوسات سميت ذلك الادراك به لمسا وهكذا فهو القوة
اللامسة والشامة والذائقة والباصرة والمتخيلة والحافظة والعاقلة
والمفكرة والمصورة وكل يقع به الادراك فليس الا النور^(٢) .

(١) بتصرف الأمثال ج ١١ ص ٩٠ تفسير سورة النور .

(٢) الروح المجردة ص ٣٠٨ .

والسالك إذا تمكن من استفادة جميع مراحل النور في شبكات عالم الامكان باختلاف درجاتها وصولا إلى النور القاهر لتجلي الجلال والذي إذا ظهر قضى على وجود السالك وجعله في الفناء والاندكاك المحض .

وبنور وجهك الذي قد خر من فزعه طو سيناء وعليه فإن مقام التوحيد المحض أعلى درجات النور وأسمى مراتبه .

منهارة أصلها ثابت وفرعها في السماء

روى العلامة المجلسي في البحار عن انس بن مالك قال : بينما رسول الله ﷺ صلى صلاة الفجر ثم استوى في محرابه كالبدور في تمامه فقلنا يا رسول الله إن رأيت أن تفسر لنا هذه الآية قوله تعالى : (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) فقال رسول الله ﷺ أما النبيون فأنا وأما الصديقون فعلي بن أبي طالب وأما الشهداء فعمي حمزة وأما الصالحون فإبنتي فاطمة وولداها الحسن والحسين فنهض العباس من زاوية المسجد إلى ان صار بين يديه ﷺ وقال يا رسول الله ألسنا أنا وانت وعلي فاطمة والحسن والحسين من ينوع واحد قال له النبي وما وراء ذلك يا عماه ؟ قال : لأنك ذكرت عليا ولم تذكرني وشرفته ولم تشرفني . قال رسول الله ﷺ : أما قولك أنا وانت وعلي فاطمة والحسن والحسين من ينوع واحد فصدقت ، ولكن خلقنا الله حيث لا سماء مبنية ولا أرض مدحية ولا جنة ولا نار كنا نسبحه حيث لا تسبيح ونقدسه حيث لا تقديس فلما أراد الله بدء الصنعة فتق نوري فخلق منه العرش فنور العرش من نوري ونوري من نور الله وأنا أفضل من

العرش . ثم فتق نور ابن أبي طالب فخلق منه الملائكة فنور الملائكة من نور ابن أبي طالب ونور ابن أبي طالب من نور الله ونور ابن أبي طالب أفضل من نور الملائكة . وفتق نور ابنتي فاطمة فخلق منه السموات والأرض فنور السموات والأرض من نور ابنتي فاطمة ونور ابنتي فاطمة من نور الله وفاطمة أفضل من السموات والأرض . ثم فتق نور الحسن فخلق منه الشمس والقمر فنور الشمس والقمر من نور الحسن ونور الحسن من نور الله والحسن أفضل من الشمس والقمر . ثم فتق نور الحسين فخلق منه الجنة والحدور العين فنور الجنة والحدور العين من نور الله والحسين أفضل من الجنة والحدور العين . ثم إن الله خلق الظلمة بالقدرة فارسها في سحائب البصر فقالت الملائكة سبوح قدوس ربنا مذ عرفنا هذه الاشباح ما رأينا سوءً فبحر متهم إلا ما كشفت عنا ما نزل بنا فهناك خلق الله تعالى قناديل الرحمة وعلقها على سرادق العرش . فقالت إلهنا لمن هذه الفضيلة وهذه الأنوار فقال تعالى : «هذا نور أمتي فاطمة الزهراء عليها السلام» فلذلك سميت أمتي الزهراء لأن السموات والأرضين بنورها زهرت ، وهي ابنة نبي وزوجة وصي وحبّتي على خلقي أشهدكم يا ملائكتي إني قد جعلت ثواب تسيحكم وتقديسكم لهذه المرأة وشيعتها إلى يوم القيامة» .

فعند ذلك نهض العباس إلى علي بن أبي طالب وقبّل ما بين عينيه وقال : «يا علي لقد جعلك الله حجة بالغة إلى يوم القيامة»^(١) .

وهذا يقتضي أن شؤونهم منقبة ومتشعبة من نور علي بن أبي

(١) بحار الأنوار ٣٨ م ١٨ .

طالب ﷺ فلهم ارتباط تكويني مع نوره ﷺ نحو ارتباط الفرع بالأصل.

اهمية الاسباع الخمسة عند الله

عن الإمام الرضا عن آبائه ﷺ ، قال: قال رسول الله ﷺ : انا سيد من خلق الله عزوجل . وانا خير من جبرئيل وميكائيل واسرافيل وحملة العرش وجميع ملائكة المقربين وأنبياء الله المرسلين وأنا صاحب الشفاعة والحوض الشريف وانا وعلي ابوا هذه الامة من عرفنا فقد عرف الله ومن انكرنا فقد انكر الله ، ومن علي سبطا نبي سيدا شباب أهل الجنة الحسن والحسين ومن ولد الحسين أئمة تسعة طاعتهم طاعتي ومعصيتهم معصيتي وتاسعهم قائمهم ومهديهم وإن الملائكة لخدامنا وخدام محبينا . الحديث (١) . ومنها نزولهم في ليالي القدر وهي كثيرة منها ما في بصائر الدرجات: حدثنا أحمد بن محمد عن الحسن بن العباس بن الجريش قال: عرضت هذا الكتاب على أبي جعفر فأقره قال: قال أبو عبد الله ﷺ قال علي ﷺ في صبح أول ليلة القدر التي كانت بعد رسول الله ﷺ سلوني . فو الله لأخبرتكم بما يكون إلى ثلاثمائة وستين يوما من الذر فما دونها فما فوقها ثم لأخبرتكم بشيء من ذلك لا بتكليف ولا برأي ولا بدعاء في علم الا من علم الله وتعليمه والله لا يسألني أهل التوراة ولا أهل الانجيل ولا أهل الزبور ولا أهل الفرقان الا فرقت بين كل أهل كتاب بحكم ما في كتابهم . ومنها نزول الملائكة لزيارة قبورهم . ففي كامل الزيارات باسناده عن أبي حمزة الثمالي عن أبي عبد الله ﷺ قال:

(١) الأنوار الالامعة السيد عبد الله شير .

ان الله وكل بقبر الحسين عليه السلام أربعة آلاف ملك شعث غبر يبيكونه من طلوع الفجر إلى زوال الشمس فإذا زالت الشمس هبط أربعة آلاف وصعد أربعة آلاف ملك فلم يزل يبيكونه حتى يطلع الفجر الحديث ومثله كثير^(١). وفيه باسناده عن داوود الرقي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول ما خلق الله خلقا أكثر من الملائكة وإنه ينزل من السماء كل مساء سبعون ألف ملك يطوفون بالبيت الحرام ليلتهم حتى إذا طلع الفجر انصرفوا إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله فيسلمون عليه ثم يأتون قبر امير المؤمنين عليه السلام فيسلمون عليه ثم يأتون قبر الحسين عليه السلام فيسلمون عليه ثم يعرجون إلى السماء قبل ان تطلع الشمس ثم يعرجون إلى السماء قبل ان تطلع الشمس ثم تنزل ملائكة النهار سبعون ألف ملك فذكر أنهم يعملون كملائكة الليل ثم يعرجون إلى السماء قبل ان تغيب الشمس. ومنها ان الملائكة تنزل عليهم وتحديثهم بالعلوم. ففي بصائر الدرجات باسناده عن زرارة قال: أرسل أبو جعفر عليه السلام إلى زرارة: أعلم الحكم بن عيينه أن اوصياء علي محدثون وفيه باسناده عن علي بن اعين عن أبي عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأهل الطائف لأبعثن عليكم أو اليكم رجلا كنفي يفتح الله به الخير سيفه سوطه فيشرف الناس فلما أصبح ودعا عليا عليه السلام فقال إذهب بالطائف ثم امر الله النبي ان يرحل اليها بعد ان رحل علي عليه السلام فلما صار اليها كان على رأس الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أثبت فسمعناه مثل صرير الزجل فقال يا رسول الله ما هذا؟ قال: إن الله يناجي عليا^(٢).

(١) كامل الزيارات باب ٢٧ ص ٨٣.

(٢) لا بد من تفسير كي يستفهم معنى الحديث بأن يخطر الملك روح علي بإرادة الحق سبحانه لعمل ما او لفكرة ما.

ومنها انهم ينزلون اليهم لتعلم العلوم منهم ﷺ كما كانوا ﷺ معلمهم في عالم الأرواح .

فعن حبيب بن مظاهر الاسدي رحمه الله أنه قال للحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ أي شيء كنتم قبل ان يخلق الله آدم ﷺ قال ﷺ كنا اشباح نور ندور حول العرش فتعلم الملائكة التسبيح والتهليل والتحميد. فعلم ان الملائكة علمت المعارف وكيفية التسبيح منهم ﷺ .

روى الصدوق ﷺ عن أبيه عن آبائه عن علي عن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : ما خلق الله خلقا أفضل مني ولا أكرم عليه مني قال علي ﷺ أفأنت أفضل أو جبرائيل فقال ﷺ : يا علي إن الله تبارك وتعالى فضل انبياءه المرسلين على ملائكته المقربين وفضلني على جميع النبيين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا علي وللأئمة من بعدك وأن الملائكة لخدامنا وخدام محبيننا يا علي الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا .

يا علي لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حواء ولا الجنة ولا النار ولا السماء ولا الأرض فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سبقناهم إلى معرفة ربنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه وتمجيده لأن أول ما خلق عز وجل خلق أرواحنا فأنطقنا بتوحيده وتحميده ثم خلق الملائكة فلما شاهدوا أرواحنا نورا واحدا استعظموا أمرنا فسبحنا لتعلم الملائكة انا خلق مخلوقون، وأنه منزّه عن صفاتنا فسبحت الملائكة بتسبيحنا ونزهته عن صفاتنا فلما شاهدوا عظيم شأننا هللنا لتعلم الملائكة ان لا إله الا الله وانا عبيد ولسنا بآلهة يجب ان نعبد

معه أو دونه فقالوا لا اله الا الله فلما شاهدوا ما جعله الله لنا من الغيرة والقوة قلنا: لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم لتعلم الملائكة ان لا حول ولا قوة الا بالله فلما شاهدوا ما انعم الله به علينا وأوجبه لنا من فرض الطاعة قلنا: الحمد لله لتعلم الملائكة ما يحق لله تعالى ذكره علينا من الحمد على نعمه فقالت الملائكة الحمد لله فبنا اهتدوا إلى معرفة توحيد الله وتسييحه وتهليله وتمجيده. ثم ان الله تبارك وتعالى خلق آدم فأودعنا صلبه وأمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لنا وإكراماً وكان سجودهم لله عز وجل عبودية ولآدم إكراماً ولنا طاعة لكوننا في صلبه، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم ﷺ كلهم أجمعون الحديث.

فعلم من هذا الحديث ان النبي والأئمة ﷺ أفضل من جميع الملائكة فحينئذ تكون الملائكة حاملي الوحي والالهامات من المبدأ إنما هو من أنوار حقائق آل محمد ﷺ فهم المعلمون للخلق أجمع وذلك لأنهم أبواب الفيض ومنبع الخير، فهم أبوابه في جميع ذرات الوجود في الصدور والورود. وروى الكليني في الصحيح عن أبي حمزة الثمالي قال: دخلت إلى الإمام علي بن الحسين ﷺ فاحتبست في الدار ساعة ثم دخلت البيت وهو يلتقط شيئاً وأدخل يده فيما وراء الستر فناوله من كان في البيت. فقلت جعلت فداك. هذا الذي أراك تلتقطه أي شيء هو؟ فقال: فضلة زغب الملائكة أي صغار ريشهم نجمعه إذا دخلونا نجمعه سبحة لأولادنا فقلت جعلت فداك وإنهم ليأتونكم؟ فقال يا ابا حمزة إنهم ليزاحموننا على تكاتنا.

اقول هنا كلام وإشكال وحاصله: أنه كيف يكون للملائكة ريش بحيث يلتقطون منه لأولادهم وما هم الا جسما روحانيا من

عالم الملكوت. قلت نعم ولكنه لشدة تمركز القوى الفعالة فيهم فهم يتشكلون بأشكال مختلفة قليل سوى الكلب والخنزير المجردين عن الروحانية دون سائر الحيوانات وكيف كان فقد اشتهر تشكلهم بصورة الآدمي كما علمته من حديث مجيء جبرئيل بصورة دحية الكلبي وغيره.

ومما يدل على انهم يتصورون بصور الطيور ما رواه في البحار عن كتاب إكمال الدين. عم محمد العطار عن أبي علي الخيزراني عن جارية له كان أهداها لأبي محمد عليه السلام إلى ان قال: قال أبو علي وسمعت هذه الجارية تذكر أنه لما ولد السيد رأت له نورا ساطعا قد ظهر منه وبلغ أفق السماء ورأت طيورا بيضاء تهبط من السماء وتمسح أجنحتها على رأسه وسائر جسده ثم تطير فأخبرنا أبا محمد عليه السلام بذلك فضحك ثم قال تلك ملائكة السماء نزلت لتتبرك به وهي انصاره إذا خرج.

من عالم النور إلى عالم الصياة

شاء الله تبارك وتعالى ان يكون محمد وآل بيته مصابيح هذا العالم بنورهم يهتدي وبسلوكهم يقتدي وأن تكون الدنيا برمتها خاضعة لسنن فضلهم وجميع السنة الخلق ناطقة بنشر ذكرهم وقد سجلوا نجاحهم في محفل حضور أهل الملكوت كما روينا وأنهم كانوا على مدار العرش يُعلمون الملائكة التسييح والتقديس وما من نبي أو ولي الا وعلمه من علمهم ونوره من نورهم وهديه من هديهم ومشت دورة الزمن تحت أوامرهم وتلاحقت بقية العوالم تقبل ظهور أعتابهم وهم ممسكون بمقاليد الخلق. عباد مكرمون لا يسقونه وهم

بأمره يعملون أوامرهم في الكون ناجزة ومراداتهم حاضرة وجاهزة
فلا يتخلفون عن امر الاله ولا يعصى لهم أمر لأجل هواه دعائم هذا
الوجود في قدرتهم وأنواره من بعض مشكاتهم هم خلص أمنائه
وصفوة أصفياه وعندما شاء ربهم أن يهبطوا إلى كوكب الحياة لبوا
سراعا موجفين وجاؤا وفق السنن عبر الأصلاب والأرحام فاختصروا
دورة الزمن وخرقوا بأنوارهم أبعاد التاريخ حتى وصلوا في سرعة
الشوق وزينوا هذه المظلة بعد عالم الأظلة وأصبح مداد الحياة
تكويننا وتبيننا منساقا لإراداتهم الكونية وطيب هذا الخلق مُطعمًا من
انفاسهم الرحمانية. وكانت نفوسهم قدسية وأرواحهم ملكوتية وكل
قواهم روحية حيث كانت القوى النورانية العاقلة تعبق بالحكمة
والسنتهم الملائكية تنطلق بالمعرفة فهم هياكل ملكوتية في لباس
الناسوتية يعرفون بضياء وجوههم وثاقب أنظارهم وطيب عبيهم ونفح
مسك انفاسهم وحكمة أسلوب حديثهم ولهم من تربيتهم وتغذيتهم
ومكارمهم في هذا الخلق ما ينوء الكاتب بل الكتاب أجمعون
بحمله.

فأنى لنا ونحن ذوو بضاعة مزجاة ان نعبر في بحور أنوارهم
ونصعد إلى كواكب علو مجدهم وأفضل ما يمكن البوح به شكر
نعمة وجودهم والتخلق بفيض أخلاقهم والاستفادة من خزائن
معارفهم. ولا بد لنا من التعرّيج على نبذة يسيرة من تاريخ علي
وفاطمة عليهما السلام.

واليك هذا الاختصار.

قطعة من نور محمد سطعت في جبين أبي طالب فعاش بها
ردحا من الزمن فارسا شجاعا وزعيما مطاعا بطولة نادرة ومناقب

زاهرة قوة الصراحة وثقل الرجاجة والسنة الفصاحة ويمين السماحة .
عاش وارثا لتاريخ القيم ومانعا من لوثة الامم بعيدا عن غدارة الزمن
وعبادة الوثن مع أن الجو مكفهر والوضع متفجر والحجر يعبد والحر
يبعد والفقير يداس رأسه والحكيم يضربه فأسه والجهل يحكم الأمة
والمجتمع في ليلة مدلهمة .

حامى عن رسول الهداية ومنع الناس من الاعتداء عليه وحماه
بسيفٍ لطالما لمع بريقه وجف ريقه عطشا لمعارك النزال وعشقا
لمصارعة الأبطال حتى التحق بربه قريرة عينه ظافرة نفسه مضيئا قبره
مخلد أعماله فيا رب يوم وقف مادحا لابن أخيه :

وابيض يستسقى الغمام يوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
لا فض فوك ايها الشاعر المفتون بنور الحق وكلمة الهدى ولا
برحت غواصي فضلك وانواء أدبك تهمني على صحاريننا طورا رذاذا
وطورا عبابا فعلي عليه السلام ورث الشجاعة كابرا عن كابر كالرمح انبوبا
على انبوب .

فاطمة الزهراء عليها السلام

بضعة من نور النبوة وقطعة من وجودها الملكوتي جاءت من
عالم الفيض في ضحضاح من نور لتطعيم البشرية بهذه الانفاس
العطرة والوجوه النضرة فكانت قدوة النساء وفخر البنات والابناء .
عذوبة في لسان ولينا في بدن وصباحة في وجه وطهارة في روح
جمعت أفضل الخصال واكرم الخلال حتى مدحها ابوها وهو العارف
لقدرها تكوينا وتصويرا وتشريفا فكانت عنده وفي تقيظته عليها السلام انسية
حوراء وكانت، يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها وكانت أم أبيها
وكانت نفحة هذا الزمن ودرة هذا التاريخ وشمس هذه الامة .

بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة هاجرت السيدة المصون مع ابن عمها الفارس المغوار ورأت من شجاعة علي ما بهرها وملاً قلبها جهادا في الحق وانسجاما لأمر النبي ﷺ وكانت قبل ذلك تعرفه فارسا بطلا وغلاما نبيلًا .

ومن ايام الطفولة إلى ايام الرجولة إلى ايام البطولة وتنمو غرسة العمر وزهرة الحياة ووردة البنفسج وترافق هذا الأسد أو هذا الحيدرة وتتوسم فيه فتوة الجيل وفارس الأبطال وعلم الدنيا .

وحققت امنيتها بعد النصر الذي حققه علي في معركة بدر فاقترنت بعلي الفقير في ماله الغني بشجاعته وفدائيته وبطولته وزهده وكرمه .

وكانا معا كفرسي رهان في الجد والنشاط وحفظ العلوم والتقاط المعارف وبيان الأحكام حقا انهما شمسان وقمران وذخران لهذه الامة منهما الذرية الطاهرة والعترة المطهرة ومنهما كل هذا التاريخ المفعم بأنوار النبوة ونفحة الرسالة وملاحم البطولة وعنفوان الرجولة .

يوم القرآن

بعد النصر الكبير الذي حققه النبي محمد ﷺ في غزوة بدر وكان علي عليه السلام قد قتل وحده من صناديد قريش نصف القتلى وشارك الجيش في قتل النصف الباقي وفي بعض ليالي الاسبوع الأول جال في خاطر النبي ﷺ خواطر ورؤى ومر شريط النصر في ذهنه يسجل له كيفية انتصار الفئة القليلة على الفئة الكثيرة وأيضا لمعت ذكريات السيدة خديجة والعم أبي طالب الناصر والحامي وما

عليه لهذا البيت من جميل فعمه كان حارسا أبدا دائما للذب عنه سياسيا واجتماعيا وعسكريا وام علي كانت كأمه بل كانت تفضله على أولادها وكانت كلما حصل لها شيء من الطرف كالفواكهة والحلوى تدخر ذلك لمحمد كما كانت تهتم بأناقته وتغسيله وتنظيفه وتمشيطة وتدهينه بالعطور ولا تعمل ذلك لأحد من اولادها .

انها ذكريات مجيدة بدأت تلمع في ذاكرته الطاهرة وفي هذا الوقت صمم أن يرد الجميل ويزوج ابنته السيدة الطاهرة والزاهدة فاطمة من ابن عمه علي البطل المغوار وكانت فاطمة في كل يوم تزدد نضارة وطهارة وفتوة وتشب فيها انوثتها وشبابها الغض وتفتح فيها زهرة الفل والورد والياسمين فهي تعب من نفس الصبا لأنها ستصل بعد قليل لدورة الشباب *

يا فاطم عبي فأيام الصبا ولت وزهر الروض فاحا^(١)

وتنجلي الخواطر السامية بمرور فاطمة ويرى فيها أمله المفعم بالحيوية والنزاهة فيقبلها قبله فهمت منها شيئا التمع في قلبها النابض بالحنان والحيوية ومرت بعد ذلك أسماء فأنست اليها وهي صديقة أمها والمرأة تتكشف للمرأة بحقيقتها العارية وتظهر المرأة إلى المرأة بكل ذاتيتها وليست تعطي الرجل الا نصف معناها ويبقى النصف الآخر مجهولا غامضا ويذهب في غموضه أبدا .

والمرأة إذا تفتحت أنوثتها ونضجت حنت حيننا مبهما فإنها تجد نصف معناها في الرجل والنصف الآخر في الولد وهي تريد أن تحل لغزها فيأخذها هذا الحنين ولعب الحدس دوره وكأن جذوة

(١) ملحمة الزهراء للمؤلف تحت الطبع .

الثورة اخترقت الف حجاب وحجاب لتكشف سجاف الليل المظلم وتدل دلالة صريحة على حدث تبدو بعض مظاهر لمعانه وهما معا يتداولان خواطر وخواطر وإذا بعلي يمر كالبرق وكان قد سبقه صحابيان يخطبان فردهما النبي بأسلوبه الحكيم فتحرشا بعلي قائلين له لعلك يا علي تفوز وتفوز بيد فاطمة.

والتمعت الفكرة من فارس الإسلام فرمى بمسحاته في زاوية البستان وذهب إلى النبي وأثر العمل الشريف باد عليه ولما رآه النبي هش وبش وسأله ما حاجتك قال يا رسول الله: ذكرت فاطمة وهنا أشرق وجه النبي ودخل على فاطمة قائلاً علي كذا وكذا وهي ساكتة فكبر روعي فداه وقال: الله أكبر سكوتها رضاها.

وشاع الخبر في المدينة بسرعة مذهلة وبدأ الحديث ودار الكلام انها السيدة المصطفاة للسيد المصطفى، هي ربيبة الوحي والرسالة وهو ربيب الوحي والرسالة وذهبت أسماء وعادت تنقل لها خبر الصحابة من دور الانتصار إلى دور المجاهدين وتنقل القول الآتي: ان النبي لم يزوج علياً وإنما كرم البطولة الخالدة المظفرة في شخص البطل الخالد بأعز ما عنده وأقرب ما هو إلى قلبه فإن فاطمة قلب مصور في إنسان ملائكي أو ملاك إنساني وليس في هذا القرآن معناه بل معنى التكريم. فإن محمداً في حقيقته رسالة ودعوة وهو المبتدأ وان علياً في حقيقته إيمان وواجب وهو الخبر ولا شك في ان فاطمة رابطة الاسناد.

ويستمر التناغم وحديث فاطمة لا يفارق أحداً حتى جاءت نسوة الاغنياء وربما كان لهن طمع بفاطمة لأولادهن فقلن زوجها ابوها من رجل فقير وأكثرن من هذا القول حتى تأذت فاطمة وبكت

وجاءها النبي ﷺ وهي على هذا الحال فقال لها: أما ترضين يا فاطمة ان الله اختار من أهل الأرض رجلين جعل أحدهما أباً والآخر زوجك وهو علي. وأنا علي فناء فاطمة ونفسها المباركة كما انارت فاطمة فناء علي ونفسه ولولا هذه الإنارة الروحية لتحول القرآن إلى ضم جسد إلى آخر والزواج في معنى الروح تكامل وفضيلة ونور يمدّه نور. وكان معنى اختيار علي إلى جنب فاطمة جمع كل الإنسانية فيه وجاء معه علامة على ان الإنسانية بكل ما ثبت فيها لن تنحرف عن النبوة الجديدة بكل ما ثبت فيها فكانت فاطمة منهما بين مصدر إشراق النور ومجلى انعكاسه وموجات الشعاع تمور متألقة في جو نفسها المتسامية أبداً.

سكت الناس عن الحديث بعد اعلان الزفاف والإطعام وكانت ليلة البركة والخير والتفاف النور بالنور وأحكم الحق قبضته على الخير وبدأت الرسالة تهيء قيادة المستقبل الواعد.

يوم الميلاد

تناولت نساء الحي كوكبات كوكبات عندما سمعت ان فاطمة فاجأها المخاض وعاش الناس حلماً لذيذا ماذا تلد وأين تلد وسكت الجميع عندما تدخلت السماء وساعدت فاطمة وحصل المولد المبارك. وكان الحسين وليد الرحمة والخير والبركة وكان سر النبوات وسر القداسات وسر الالهام. كان جميلاً كحقيقة الضوء وبهيا كقطرة الندى وقد تحاضنتها أكمات الزهر حتى لكأنها في جو أحلام ذابت فيه النسوة واستحالت إلى اريج تهدد أيدي النسيم وكان لآلئ كزنبقة الغور وقد مضت إشراقة الغروب التي خلفت فيها الشمس ذكراها السعيدة إلى الليل وكانت البهجة والهالة المشعة فيها

جلال النبوة وجمال الطهر البريء وكان عابقا كأن السماء أطلعت
على الأرض بالاريج .

أذان

وهنا بدت معالم السنن تدفع بيأفوخ الإمامة بمعلمين اثنين
الاذان والاقامة فيقوم النبي عمليا بأداء السنة ويعلمها أمته ويبدأ فيها
بسبويه الحسين والاذان ابداع نبوي جديد وبث كلمة الحق والتوحيد
في وعي الوليد وروحه وتبدأ موجات الروح بقذف روح الكلمة إلى
مكمنها الباطني لتحفر بأحرف من نور على الصفحة البيضاء فتتحول
عنده إلى قاعدة يفنى فيها ومن أجلها ويتحول من خلالها إلى بطل
الوحدة والتوحيد وهكذا أثمرت هذه الكلمة الاولى في نفسية السبط
الشهيد حالة من أفضل وأعز حالات بني البشر دفاعاً عن كلمة
التوحيد .

همسة ناعمة كانت في إذن الحسين ولكن رجعتها في ضمير
الوليد سيغور في أعماق الحياة أرسل النبي هذا النداء في ضمير
سبطه ليظل أنشودة نفسه اللاشعورية وبذلك أقام في نفسه معبداً
يفيض بأحاسيس الفضيلة وأقام في نفسه مشعلاً يضيء عليه فلا
تخالطه ظلامية أو دجنة في سبيل حياته المطمئنة والأذان في الحياة
صبحا وظهرا ومغربا لإعلام الناس والمجيء إليه ساعة يلهمهم ثم
يعودون إلى دنياهم .

لكنه في نفس الوليد يبقى معه ليمنع عنه كل فتنة الشرك
والضلال أفرغ النبي بعضاً من روحه في سريرة الفتى ليعطي بعضاً
من النبوة في بعض من أعمال الناس .

«سلام عليه يوم ولد»

جاء في أخبار ولادة الإمام الحسين انه كان صورة احتبكت ظلالتها من اشكال جده العظيم. فأفاض النبي عليه شعاعة غامرة من حبه وأشياء نفسه ليتم له أيضاً من وراء الصورة معناها. فتكون حقيقته من بعد كما كانت من قبل إنسانية اوثقت إلى نبوة «انا من حسين ونبوة هبطت إلى إنسانية حسين مني»^(١).

الطفولة إنسانية لم تمسها ضراوة الغريزة وشهوات العقل كالمطرة قبل ان تمسها الأرض بتربتها فتدخل عليها الوانا ليست من معناها ولا من طبعها ثم تتفاضل الطفولة بالبيئة التي تمر منها الحياة كتلك المطرة إذا حلت في قارورة اوحلت في تربة.

والحسين الطفل حل في بيئة النبوة التي هي الإنسانية العليا في المظهر البشري فكان بذلك أسمى رجل لأنه أسمى طفل في أسمى بيئة.

«اللهم إني أحبه فأحبه» كلمة كأنها الوسام من النبي ﷺ لمولوده الصغير والوسام في لغة المراتب الاجتماعية منبهة لحامله على انه قام بعمل عظيم وهذا وسام ينه على عمل خالد سوف يقع في الطفل الجديد ولم يمنحه قبل الاستحقاق لأن عمله الخالد سيكون تضحية رهيبة تضع حدا للحياة. فسلام عليه يوم ولد.

غذاء النبوة

طعام الجنة وغذاؤها سهل لطيف يسري في الحنايا كما يسري

(١) عبد الله الغلايلي ص ٢٩٠ الإمام الحسين.

الضوء في الخلايا والنبوة قطعة من الجنة بذوقها وطهرها ونفسها وخاتم النبيين محمد ﷺ أنفس من في الدنيا وأفضل من في الوجود بز المرسلين وسبق الاولين والآخرين طهرا وشرفا فلا يضاهيه نبي مرسل ولا ملك مقرب وقد مر معنا فيما سبق بيان شرفه وكرامته على جميع الانبياء والمرسلين.

ولما ولد الحسين ﷺ مرضت فاطمة ﷺ وكأنما شاء الله عزوجل هذا المرض فيمتنع عنه لبن امه وهو الغذاء الوحيد الذي يحتاجه المولود الجديد حين ولادته والا مات. والله تبارك وتعالى اختار البديل النبوي سلفا لحياة الحسين فكان ان لباه النبي ﷺ بريقه فدخل ريقه ونفسه الطاهر بريق الحسين واختلط بجميع جزئياته في حنايا الحسين فمنع عليه دخول ظلاميات الدنيا وسواد الذنوب. فتحول الحسين ﷺ شكلا ومبنى وصورة ومعنى محمد آخر ينطق عن لسانه ويمشي كما هو جده وكلما اقترب من عالم الشباب كلما بدت ملامح الجد الأصيل شرفا وعظمة وهيبة وكان النبي الأكرم ينظر إليه فيعجبه تلك النجابة والحصافة والمنظر الجذاب والهيبة الوقور.

كان النبي كالشعاع يملأ الفضاء قبل الشروق ثم يذر قرن الشروق فتنتظم الافلاك وتصل بين الآفاق بخيوط النور.

في هذا التسامي وهذا السطوع تولى النبي ﷺ حسينا وكان في فطرته الغضة كالعذبة اللاقطة تحيل ما تقع عليه إلى حقيقته الأخرى في وجوده الآخر وهكذا تمت التربية العليا والمثلى. ولقد كان النبي ﷺ يمدّه من وراء العاطفة كما يمدّه من وراء النبوة ويغمره بالحب ويسقيه من نبعه الشعور حتى يجيء حقا قدسيا لمعنى قدسي

يقدم فيه المثالية العظمى التي ينشدها الإنسان بالجد فلا يخوض منها الا في السراب الذي يضل فيه الإنسان وقد ورد عن بعض الصحابة ما هو شكل من اشكال تخليق النبي ﷺ للحسين تخليقا مثاليا مدهشا قال أبو هريرة: ابصرت عيناى هاتان وسمعت أذناى رسول الله ﷺ وهو آخذ بكفى حسين وقدماه على قدم رسول الله وهو يقول: «ترق ترق عين بقة فرقى الغلام حتى وضع قدميه على صدر رسول الله ثم قال رسول الله افتح فاك ثم قبله ثم قال: اللّهم أحبه فإنى أحبه». وهذا إشارة منه إلى هذا الوريث بأنه وريثه وسبطه ومجدد الدين بعده وان محمدا هو هذا في وليده نسخة طبق الأصل فالإسلام المحمدي النشئة حسيني الاستمرار والبقاء وهكذا صيغ الحسين صياغة مثلى ونشأ نشأة مباركة فكان إنسانا آخر حيث استوت فيه الإنسانية بأعلى مراتبها. روى أبو هريرة أيضاً ان الحسن والحسين ﷺ كانا عند رسول الله ﷺ وقد امسيا فقال لهما إذهبا إلى امكما قال فهابا ان يذهبا من شدة العتم فبرقت برقة فمشيا على ضوءها حتى وصلا إلى امهما^(١).

فالحسين ابن القوات الروحية فهي تمتد إليه بآثارها فتبدو في ملابسات لمادة الغريبة شاذة بيد انها في المنطقة الأخرى منطقة القوى لا تعدو ان تكون ظاهرة عادية على درجة كبرى.

(١) ابن عساكر في التاريخ ج ٤ ص ٣١٦.

قدوة الصبا وفورة الشباب

نشأ الإمام الحسين عليه السلام وهو يشم أريج الرسالة وعطور النبوة ويرى ببصيرته الوقادة وعينه النفاذة مشاهد الملاحم الإنسانية ومآسي هذه الحياة كما كان يرى بنور بصيرته صورة الملائكة الأعلى ويقرأ على لوحة الخلود ومرآة الزمان الصافية كل أشكال الحروب العنيفة التي تحطم الأمة. كان يرى أن أمة جده سوف تجرفها سيول الأهواء وتحطم أركان عزها الشامخ وكان يرى أن عليه الصمود والصمود في وجه الانحراف والتردي والسقوط وكان يرى أن الأموية غيرت خلال حقبة من الزمان عقولا وادمغة وثقفت الشباب بثقافة غريبة عن الدين والرسالة عبرت إلى امتنا عبر من وفدوا واسلموا وأصبحوا جزء من الأمة مع أنهم كانوا يكيدون لها وعرفوا كيف يكيدون حتى تحولوا إلى جهاز الحاكم الفعلي يزينون له المعصية ويبيحون له المملذات الحرام والحكام قاربوا عهد بالجاهلية تأسروهم أحلامهم وتقيدهم ملذاتهم فساعد هؤلاء حظوظ وحظوظ فكانت الكارثة الاجتماعية حيث شوه وجه الدين وجماله وحل محله الصنم والوثن والهوى كما حل محل الإصلاح فساد ومحل الإيمان كفر ومحل المسلمين منافقون وأنت تذهب وجماعة الصحابة الأجلاء مشغولون في صومهم وصلاتهم وامية تحلق للدين شعره وتزيل سمته وتكشف عن الدين

كل قيمة اجتماعية ومكرمة أخلاقية. ويأتي الآخرون ليأخذوا الإسلام العاري من الجمال عن طريق بني أمية انها لكارثة إنسانية. كان أبو عبد الله ينظر اليها من بعيد ويحذر من عواقبها المدمرة كان على الحسين ان يغير المعادلة ويظهر انه إمام الامة وربان السفينة وقائد الفئة الصالحة والفرقة الناجية وكان عليه ان يثبت أحقيته وقدرته وإمامته وعلمه النير وموقفه الصائب ورأيه الأسد والارجح وبدأت علوم الغيب تنال على سيد شباب أهل الجنة فتحوله إلى ملك وكتلة من النور لا يرى فيها الا الخير والحق والعدالة.

ومن حسن حظ الامة أن جاد الزمن عليها بالحسين فأعطاهما حكمته وأدبه فعدل معوجها وقوم اودها وأنار ظلمتها فاعتدلت قامة الامة وظهر فيها نور الحق وبدأ يثبت فيها من حكمه وأنوار بصيرته ما ملأ إهابها حتى صار الإمام الحسين فارسها المرجى وعيلمها المرتجى. واليك بعض الروايات التي تدل على سمو روحه وشموخ نفسه منذ ريعان شبابه.

قال ابن الصباغ المالكي في كتابه الفصول المهمة:

ان الحسنين عليهما السلام أدركا خلال تردهما على مسجد جدهما رسول الله ﷺ ان بعض كبار السن من الصحابة لا يحسن الوضوء فتدأولاً معاً كيفية تعليمه الوضوء فالتمعت الفكرة في رأسيهما وجاءا إليه فقال واحد منهما بعد السلام والتحية اختلفت مع أخي في صحة الوضوء وجئنا نتوضأ امامك لتحكم بيننا أينما وضوء أحسن فوافق ثم توضأ والتفت هذا الشيخ المسكين بأنهما لم يخطئاً وإنما أرادا تنبيهه على خطيئته وكان هذا الشيخ منصفاً فشكرهما على حسن الاسلوب وهذا الاداء في التعاطي غير المؤذي لمثل هذا الحاج الجاهل ولو

انهما جاءا إليه مباشرة وأشعراه بنقص صلاته وعدم أدائها صحيحا
لنفر منهما ولكنهما أثارا فيه غريزة العلم والاستدرة فأنس اليهما
وأخيرا اكتشف خطأه وصحة وضوءهما فشكرهما على هذه الآداب
واهتدى إلى معرفة الحكم الشرعي بكل رحابة صدر.

فأين هذا من شباب أو كهول أعرضوا عن هذه الأساليب بل
لم يهتدوا إليها الا بعد حادث وآخر ومن اين لهم هذه اللمعات
والومضات وهما صغيران وهذه أساليب لا يهتدي إليها والى صحة
نتائجها الا الاوحدى من الناس فكيف اهتدى الإمام الحسن والإمام
الحسين إلى مثل هذه وهما في سنوات الطفولة الاولى.

فسر ما شئت اما انا فلم يظهره عندي الا انهما مظهران
خارقان للعادة فهما عالمان حكيما منذ صغرهما وهما امامان قاما
أو قعدا. وشب الحسين عليه السلام ونمت معارفه وظهر شبابه وكملت
محاسنه واحتوشه الناس هذا يشمه وهذا يضمه وهذا يقبل يديه
والآخر ما بين عينيه وصار محط الآمال وتحول فناؤه إلى مجمع
الافادات والافاضات وحل مشاكل الامة وفك عويص المسائل وكان
له مع ذلك هبة من جده محمد وأبيه علي على ما به من نور الحسن
ونضارة الشباب.

وكان الناس يتبركون منه بالاستماع اليهم كما يتبركون
بالاستمتاع إليه وكان إذا سمع محدثا أو شاعرا وأعجبه أكرمه وإذا
سئل عن عويص مسألة أجاب ولم يدخل إليه رجل أو يخرج من
عنده رجل الا وجاء إلى رضا وخرج عن رضا.

ذكر في البحار في م ٤٤ ص ١٨٠ عن صالح بن ميثم الاسدي
قال: دخلت أنا وعباية بن ربيعي على امرأة من قبيلة بني والبه قد

احترق وجهها من السجود فقال لها عباية يا حبابه هذا ابن أخيك قال: وأي أخ؟ قال: صالح بن ميثم، قالت: ابن أخي والله حقا. يا ابن أخي ألا أحدثك حديثاً سمعته من الحسين بن علي عليه السلام قال: قلت بلى يا عمة قال: كنت زوارة الحسين عليه السلام حدث ما بين عيني وضح فشق ذلك علي واحتبست عليه اياما فسأل عني ما فعلت حباية الوالبية فقالوا: إنها حدث بها حدث بين عينيها فقالوا لإصحابه: قوموا اليها فجاء مع أصحابه حتى دخل علي وأنا في مسجدي هذا فقال: يا حبابه ما أبطأك علي قلت يا ابن رسول الله حدث هذا بي قال فكشف القناع فنقل عليه السلام بن علي عليه السلام فقال: يا حبابه احديثي لله شكراً فإن الله قد درءه عنك قال: فخرت لله ساجدة قالت: فقال: يا حبابه ارفعي رأسك وانظري في مرآتك قال: فرفعت رأسي فلم أحس منه شيئاً قال فحمدت الله. وهذه الرواية وردت في دعوات الراوندي وزاد في آخرها هذه الزيادة يا حبابه نحن وشيعتنا على الفطرة وسائر الناس منها براء.

- روى أبو خالد الكابلي في نفس الكتاب عن يحيى بن أم الطويل قال كنا عند الحسين عليه السلام إذ دخل عليه شاب يبكي فقال الحسين: ما يبكيك قال: إن والدتي توفيت في هذه الساعة ولم توص ولها مال وكانت قد امرتني ألا أحدث في أمرها شيئاً حتى آتيك وأعلمك خبرها فقال الحسين عليه السلام: قوموا حتى نصير إلى هذه الحرة فقمنا معه حتى انتهينا إلى باب البيت الذي توفيت فيه المرأة وهي ساجدة فأشرف على البيت ودعا الله ليحييها حتى توصي بما تحب في وصيتها فأحياها الله وإذا المرأة جلست وهي تشهد ثم نظرت إلى الحسين عليه السلام فقالت: ادخل البيت يا مولاي ومرني بأمرك فدخل وجلس على مخدة ثم قال لها وصيتي يرحمك الله

فقلت يا ابن رسول الله لي من المال كذا وكذا في مكان كذا وكذا فقد جعلت ثلثه إليك لتضعه حيث شئت من أوليائك. والثلثان لابني هذا إن علمت أنه من مواليك وأوليائك وإن كان مخالفا فخذه إليك فلا حق للمخالفين في اموال المؤمنين ثم سألته ان يصلي عليها وان يتولى أمرها ثم صارت المرأة ميتة كما كانت.

- وروى أيضاً في نفس الكتاب بعد صفحتين رواية عن زرارة قال سمعت أبا عبد الله يحدث عن آبائه عليه السلام ان مريضاً شديداً الحمى عاده الحسين فلما دخل من باب الدار طارت الحمى عن الرجل فقال له رضيت بما اوتيتم به حقاً حقاً والحمى تهرب عنكم فقال له الحسين عليه السلام والله ما خلق الله شيئاً الا وقد أمره بالطاعة لنا قال: فإذا نحن نسمع الصوت ولا نرى الشخص يقول لبيك. قال: اليس أمير المؤمنين أمرا أن لا تقربي الا عدواً أو مذنباً لكي تكوني كفارة لذنوبه فما بال هذا؟ فكان المريض عبد الله بن شداد الليثي.

- ولا بد من التعليق البسيط على هذه الروايات الثلاث:

- أولاً: اننا نؤمن بأن آل البيت عليهم السلام حجج الله لا ينازعهم أحد في علو مجدهم وعظيم ولايتهم وعميق معارفهم وسعة قدرتهم لأن الله تعالى منحهم بقدرتهم على التكوين والتشريع وأعطاهم ما لم يعط أحداً من العالمين. ولا شك ان الموت والحياة والصحة والمرض عوارض صغيرة وكبيرة جميعها تابعة لولاية الحجب المعصومين ولا تأخذنك الدهشة والعجب عندما تسمع رواية من هذا القبيل فهذا شيء بسيط وبسيط جداً من شمول ولايتهم وسعة سلطتهم ولا تعجب إذا سمعت الرواية هكذا أنهم أحيوا وشفوا من

الاعراض والامراض والالام بطريق غير عادي فهي ملكهم ومأسورة اليهم وعندما يأتي ظلهم ويعمر فضلهم وتتسع بركات أنوارهم تذهب المعضلات وتحل المشكلات وتطرد الحمى وتعود الحياة ويذهب الوضح والبرص والجذري والجذام وذلك امر بسيط عند قدرتهم وعظيم ولايتهم. وعندما يقول الحسين المعصوم للحمى يا كباسة فإذا نحن نسمع الصوت ولا نرى أحدا تفهم ان الكباسة التي هي الحمى سمعت فأجابت وطردت فهربت وهددت فذهبت. وتفهم بعد ذلك ان كل شيء من الاعراض والامراض والالام مأمور بأمرهم فإذا أمروا بالفرار فر إلى غير رجعة بدون دواء ولا جراحة، ولا جراحة اعظم من امرهم التي تحكم الكون فكما ان الطبيب يتسلط أحياناً بالعلم عن شأن صغير من شؤون البدن فيقطع منه شيئاً ثم يداوى الآخر ويبقى مدة حتى يبرأ صاحبه نقول ان هذا جزء من مليون جزء من تسلط قدرتهم وولايتهم على جميع أجزاء البدن فتبرأ الاجسام ساعة يشاؤون وتفر الحمى ساعة يأمرونها وبهذا يستطيعون إحياء الميت وشفاء الامراض والعاهات وردّ الأمور إلى نصابها وإياك ان تنكر عظمة آل بيت النبي ﷺ وولايتهم فهذا شيء قليل ولهم في الآخرة ولاية أكبر من هذا بكثير.

ستبدي لك الايام ما كنت جاهله ويأتيك بالاخبار ما لم تزود - وروى في البحار أيضاً بنفس المجلد ونفس الصفحة ما يلي:

روى انه لما ولد الحسين ﷺ امر الله تعالى جبرئيل ان يهبط إلى الأرض في ملأ من الملائكة فيهنئ محمداً بهذا المولود فمر بجزيرة فيها ملك يقال له فطرس كان في السماء فعرضت ولاية

محمد آل بيته على الملائكة فأجاب الجميع الا هذا الملك فكسر جناحه من غضب الله عليه وهبط إلى هذه الجزيرة يعبد الله ويستغفره ليتوب عليه ولما مر عليه جبرئيل وكان له معه أخوة وساله إلى اين تذهب يا أخي أجابه بأني ذاهب لتهنئة محمد بمولوده الجديد قال خذني معك حتى يشفع لي محمد فحمله جبرئيل على جناحه ولما وصل النبي أخبره به وأنه طالب وساطته عند الله فقبل النبي ﷺ بشرط قبول ولاية آل محمد ﷺ فقبلها الملك فطرس ففرح النبي ﷺ وقال: إذهب إلى مهد الحسين وتسمح به فذهب فطرس وتسمح بالمهد ولمعت بركات أنوار الحسين الصغير والتأمت جروح جناحه المكسور وعاد صحيحاً وطار إلى السماء مع جبرئيل بجناحيه وعندما يكون الملائكة وهم في الملاء الاعلى يتمسحون بمهد الحسين ﷺ ثم يشفيهم الله فهل بعد هذا كلام فإذا هز في المهد جبرئيل وناغاه ميكائيل وسقاه إسرافيل وشفى به فطرس أو درائيل فماذا سيكون الإمام الحسين ومن يكون هذا العبد الصالح قل لي لو لم تكن درجته أكبر وأعظم هل كانوا سيكلفون وهم أصحاب الجاه العريض عند الله يكلفهم لكبرى المهمات والملمات ثم تعتبر زيارة الحسين أو هز المهد فيه وهو صغير من عملهم العادي واليومي فيكون الحسين ﷺ هو القضية الكبرى.

ومن هنا يدرس الإمام الحسين أولاً ودون ان تكون له كل هذه الكرامات والفضائل والآثار المباركة.

وهذا هو المدخل الطبيعي لدراسة حياة الحسين ﷺ أو دراسة إشراقاته الروحية وملكاته المعنوية.

وروى أيضاً هذه الرواية عن محمد بن الحسين عن الحكم بن

مسكين عن ابوب بن أعين عن أبي عبد الله عليه السلام : ان امرأة كانت تطوف وخلفها رجل فأخرجت ذراعها وكان خلفها رجل يطوف فقام بيده ووضعها على ذراعها فلصقت وثبتت في ذراع المرأة وكانت عقوبة وفضيحة وانها الطواف وهما على هذه الحالة المريبة والمفضوحة وأرسل الاثنان إلى الامير وحار الامير بأمرهما لأنه لم يكن يعرف ماذا يصنع وحسب العادة أرسل خلف الفقهاء ولم يكن عندهم حل . وبعض الفقهاء افتى بقطع يد الرجل لأنه وضع يده على يد المرأة فهو جان فقال الامير هل هنا أحد من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وكان قد ورد الإمام الحسين عليه السلام إلى مكة فقيل له لقد ورد الإمام الحسين عليه السلام فانتهازها فرصة وجاء إلى الإمام لحل هذه المعضلة.

وهنا توجهت نفسه القدسية إلى خالقها ومكث يدعو والناس في حالة ذهول وبعد الدعاء جاء اليهما وفرق يديهما والناس تنظر إلى عظيم شأنه عند الله عزوجل فقال الوالي الا تعاقبهما قال لا .

هات ما عندك في عالم الدنيا فلن تجد الا النفوس القدسية هي التي تحل المعضلات من المشاكل بهذا التوجه الخالص ، انكشف لديه ان يحلها بهذه الطريقة ولو أنه أراد ان يحلها بحالة أسرع لحلها ولكن لوحلها بكلمة كن فيكون لما تحملها الجو .

اما بهذه الطريقة الطبيعية خصوصاً والناس في وضع مدهش ومربك .

هذه هي نفس الحسين الطيبة المتعلقة بالرفيق الاعلى هي وحدها الحل شرقوا أم غربوا فلا يوجد علم الا عندهم وقدرة غريبة الا لديهم . وخذ إليك هذه الرواية العظيمة: روى الأصبع بن نباته

وهو من حوارى الإمام على بن أبى طالب عليه السلام قال: سألت الحسين عليه السلام سيدي أسألك عن شيء أنا به موقن وأنه من سر الله وأنت المسرور إليه ذلك السر فقال: يا أصبغ أترى ان ترى مخاطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى دون يوم مسجد قبا، قال: هذا الذى أردت قال: قم فإذا أنا وهو بالكوفة فنظرت فإذا المسجد من قبل أن يترد اليّ بصري فتبسم في وجهي ثم قال: يا أصبغ ان سليمان بن داود أعطي الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأنا قد اعطيت اكثر مما اعطي سليمان فقلت صدقت با ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نحن الذين عندنا علم الكتاب وبيان ما فيه وليس عند أحد من خلقه ما عندنا لأننا أهل سر الله، فتبسم في وجهي ثم قال: نحن آل الله وورثة رسول الله فقلت الحمد لله على ذلك قال لي ادخل فدخلت فإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم محتبي بردائه فنظرت فإذا أنا بأمر المؤمنين عليهم السلام قابض على تلايب الأعرس فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعصّ على الأنامل وهو يقول بئس الخلف خلفتني أنت وأصحابك عليكم لعنة الله ولعنتي . الخبر

لعلّ الإنسان عندما يقرأ مثل هذه الروايات يحار فيها لكنه إذا اطلع على قدرة الحسين المعطاة له من قبل ربه تصبح مثل هذه الأمور من المسلمات فإذا كان الاشباح الخمسة محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين لهم ولاية مطلقة على هذا الكون فمسألة الحياة والموت من أسهلها وإذا كانت المسألة جدية بهذا المستوى لتكون حجة ينقلها ثقة مثل الأصبغ بن نباته الذى يعرف من على أموراً لا يعرفها الآخرون وقد كان على شوق عظيم لمعرفة مثل هذه الأمور معانية حتى ينقلها مشافهة ومعانية وكان أهل البيت عليهم السلام يسمحون لحواريهم لمشاهدة مثل هذه الوقائع لتعزيز قدرتهم على خط المجابهة

خصوصاً وان المسألة التي تطرحها الرواية من المسائل التي تحتاج إلى هذا الكشف إمام هذا العالم المعروف بولائه والمعروف بمقارعة الآخرين .

وهو من جانب آخر تعزيز لموقف الموالين من العرفاء الكبار لضمان هذه العلاقة المتينة التي هي العروة الوثقى التي لا انفصام لها والله سميع عليم وخذ إليك هذا الحديث الذي رواه في مختصر بصائر الدرجات بإسناده إلى جابر الجعفي عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: إن الله تعالى خلق أربعة عشر نورا من نور عظمته قبل خلق آدم بأربعة عشر الف عام فهي أرواحنا فقييل محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين وتسعة من ذرية الحسين وتاسعهم قائمهم عليه السلام ثم عدهم بأسمائهم. ثم قال: نحن الاوصياء والخلفاء من بعد رسول الله ﷺ ونحن المثاني التي أعطاها الله نبينا ونحن شجرة النبوة ومنبت الرحمة ومعدن الحكمة ومصابيح العلم وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وموضع سر الله ووديعه الله تعالى في عباده وحرّم الله الأكبر وعهده المسؤول عنه فمن وفى بعهدنا وفى بعهد الله ومن خفر فقد خفر ذمة الله وعهده.

عرفنا من عرفنا وجهلنا من جهلنا نحن الاسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملا الا بمعرفتنا ونحن والله الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه.

ان الله تعالى خلقنا فأحسن خلقنا وصورنا فأحسن تصويرنا وجعلنا عينه على عباده ولسانه الناطق في خلقه ويده المبسوطة عليهم بالرافة والرحمة ووجهه الذي يؤتى منه وبابه الذي يدل عليه وخزان علمه وتراجمة وحيه واعلام دينه والعروة الوثقى والدليل الواضح لمن

اهتدى، وبنا أثمرت الاشجار وأينعت الثمار وجرت الانهار ونزل الغيث من السماء ونبت عشب الأرض وعبادتنا عبد الله ولولانا ما عرف الله وأيم الله لولا وصية سبقت وعهد أخذ علينا لقلت قولاً يعجب منه أو يذهل منه الاولون والآخرون^(١).

لا يوجد في هذا الحديث المبارك شيء غامض فهم الحجج وهم الشموس المضيئة بهم تُعرف الحياة وتُقبل الأعمال ولهم المكانة العظمى عند ربهم ومقاليذ السموات والأرض والحياة والموت معهم الهداية منهم والشقاء في معاندتهم سعد من والاهم وخاب وخسر من عاداهم وهم حجج الله في الدنيا إليهم يعود العالم ولولاهم لضلوا حيث لا يقبل الله عملاً إلا بمعرفتهم ومن خالاهم.

ورغم ما كان لهم من عداوات منعت سطوع أنوارهم وظهور أخبارهم ومع كل التعتيم عليهم خرقوا كل غيوم الجهل وظلمات الجور وملأوا العالم من أنوار قدسهم وشرف ناموسهم وأصبحوا الاسوة والقدوة والطريق والمحنة والمرجعية السياسية والفكرية والدينية ولنعم ما قيل بهم وفيهم.

إذا شئت ان تبغي لنفسك مذهباً ينجيك يوم الحشر من لهب النار
فدع عنك قول الشافعي ومالك وأحمد المروني عن كعب أخبار
ووال أناساً قولهم وحديثهم روى جدنا عن جبرئيل عن البار
وخذ إليك هذا الحديث لسلمان المحمدي من سيد الأولياء
عليه السلام :

«يا سلمان نحن أسرار الله المودعة في الهياكل البشرية يا

(١) الأنوار الساطعة في شرح الزيارة الجامعة م ٢ ص ٢٦١.

سلمان نزهونا عن الربوبية وارفَعوا عَنَّا الحُظوظَ البَشَريَّةَ فَإِنَّا عَنْهَا مَبْعَدُونَ وَعَمَّا يَجُوزُ عَلَيْكُمْ مَنْزَهُونَ ثُمَّ قَوْلُوا فِينَا مَا اسْتَطَعْتُمْ فَإِنَّ الْبَحْرَ لَا يَنْزِفُ وَسِرَّ الْغَيْبِ لَا يَعْرِفُ وَكَلِمَةُ اللَّهِ لَا تُوصَفُ. وَمَنْ قَالَ: هُنَاكَ بِي وَفِيَّ مَا وَمِمَّ فَقَدْ كَفَرَ^(١).

أَيُّهَا الْأَخُ الْقَارِئُ لَا تَبْخُسَ آلَ مُحَمَّدٍ حَقَّهُمْ فِي عُلُوِّ الدَّرَجَاتِ وَقَدَّرْتَهُمْ عَلَى اجْتِرَاحِ الْمَعْجَزَاتِ وَلَا تَنْكُرْ عَلَيْهِمْ شَيْئاً مِمَّا أَوْتَوْا مِنَ الْكِرَامَاتِ وَالْمَكْرَمَاتِ فِيهِمْ رُفِعَتِ السَّمَوَاتُ وَبَسَطَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَلَأَجْلَهُمْ خَلَقَتِ الْمَخْلُوقَاتِ وَكَوْنَتِ الْمَكُونَاتُ كَيْفَ وَقَدْ خَلَقُوا مِنْذُ الْأَزَلِّ فَهَمَّ النُّورُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي يَشْرِقُ فِي صَبْحِ الْأَزَلِّ وَهَمَّ الْحَقِيقَةُ النُّورَانِيَّةُ الَّتِي كَانَتْ سَبَباً لِكُلِّ هَذِهِ الرَّحِمَاتِ وَالْمَخْلُوقَاتِ وَفَقَتْ لِنَفَازِ الْبَصِيرَةِ وَطَهَارَةِ السَّيْرِ وَاجْتِنَابِ الْفِكْرِ عَلَى كُلِّ كَبِيرَةٍ وَصَغِيرَةٍ.

هَذَا فَيْضٌ مِنْ غِيْضِ وَقْطَرَةٍ مِنْ بَحْرِ مَعْرِفَتِهِمْ وَلَمْعَةٌ مِنْ أَنْوَارِ عَظَمَتِهِمْ وَلَمْحَةٌ مِنْ سَنَاءِ مَحَبَّتِهِمْ فِي هَذِهِ الْمَقْدَمَةِ الْبَسِيطَةِ وَالرَّسَالَةِ الشَّرِيفَةِ الْمُنِيفَةِ.

إِرْهَاصَاتُ الْمَذْهِبَةِ الْإِلَهِيَّةِ

بِنَاءٌ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ عَنْ خَلْقِ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَنَّهُمْ كَانُوا الْأَنْوَارَ الْإِلَهِيَّةَ الَّتِي تَدُورُ حَوْلَ الْعَرْشِ قَبْلَ خَلْقِ الْمَلَائِكَةِ وَعِنْدَمَا خَلَقَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ تَعَلَّمُوا التَّسْبِيحَ وَالتَّقْدِيسَ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ وَالْأَنْبِيَاءَ وَجَمِيعَ الْخَلْقِ عَرَضَتْ عَلَيْهِمْ وَلايَةُ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ فَقَبِلُوهَا وَبَنَاءٌ عَلَى مَا مَرَّ مِنْ عَظَمَةِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَنَّهُ أَحَدُ

(١) المصدر السابق.

الاشباح الخمسة الذين حباهم الله وخصه وحده بمكرمة الشهادة العظمى فكان له هذا الأثر المدوي في الأرض والسماء وكان الانبياء يعرفون ملحمة كربلاء بحذافيرها وتفاصيلها ويبكون عندما تعرض عليهم مشاهداتهم الدامية والمأساوية ونحن إمام ما نشاهد في أخبار آل محمد من لآلئ مضيئة وعبقات طاهرة حريصون على متابعتها على نحو الاختصار وذكرها على سبيل الايجاز كرمى لعيونهم وحبا وتقديرا لمساراتهم الشريفة.

وإليك بعضاً منها:

ذكر في البحار تاريخ الحسين عليه السلام وقدم روايات عديدة ومهمة:

١ - من تاريخ محمد النجار شيخ المحدثين بالمدرسة المستنصرية باسناد مرفوع إلى انس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: لما أراد الله ان يهلك قوم نوح أوحى إليه ان شق الواح الساج فلما شققها لم يدر ما يصنع بها. فهبط جبرئيل فأراه هيئة السفينة ومعه تابوت فيها مائة الف مسمار وتسعة وعشرون فسمر بالمسامير كلها السفينة إلى ان بقيت خمسة مسامير فضرب بيده إلى مسمار فأشرق بيده وأضاء كما يضيء الكوكب الدري في افق السماء فتحير نوح فأنطق الله المسمار بلسان طلق ذلق: أنا على اسم خير الانبياء محمد بن عبد الله ﷺ فهبط جبرائيل فقال له: يا جبرائيل ما هذا المسمار ما رأيت مثله فقال: هذا باسم سيد الانبياء محمد بن عبد الله اسمره على جانب السفينة الايمن ثم ضرب بيده إلى مسمار ثان فأشرق وأنار فقال نوح: وما هذا المسمار؟ فقال هذا مسمار أخيه علي بن أبي طالب سيد الاوصياء فأسمره على جانب السفينة الايسر

في اولها ثم ضرب بيده إلى مسمار ثالث فزهر واشرق وأنار فقال جبرئيل: هذا مسمار فاطمة فأسمره إلى جانب مسمار أبيها. ثم ضرب بيده إلى مسمار رابع فزهر وأنار فقال جبرئيل هذا مسمار الحسن فأسمره إلى جانب مسمار أبيه ثم ضرب بيده إلى مسمار خامس فزهر وأنار وأظهر النداءة فقال جبرئيل هذا مسمار الحسين فأسمره إلى جانب مسمار أبيه فقال نوح يا جبرئيل ما هذه النداءة؟ فقال: هذا الدم فذكر قصة الحسين عليه السلام وما تعمل به الامة فلعن الله قاتله وظالمه وخاذله.

٢ - عن المفضل عن العباس بن خليل بن محمد بن هاشم بسنده إلى أبي سلمة عن عائشة أن رسول الله ﷺ أجلس حسينا على فخذه وجعل يقبله فقال جبرئيل أتحب ابنك هذا قال: نعم، قال: فإن أمتك ستقتله بعدك فدمعت عينا رسول الله فقال له: إن شئت أريتك من تربته التي يقتل عليها، قال: نعم فأراه جبرئيل ترابا من تراب الأرض التي يقتل عليها، وقال: تدعى الطف.

٣ - عن حذيفة عن النبي ﷺ قال لما أسري بي إلى السماء أخذ جبرئيل بيدي فأدخلني الجنة وأنا مسرور فإذا أنا بشجرة من نور مكللة بالنور في أصلها ملكان يطويان الحلي والحلل إلى يوم القيامة ثم تقدمت أمامي فإذا أنا بتفاح لم أر تفاحا هو اعظم منه فأخذت واحدة ففلقتها فخرجت عليّ منها حوراء كأن أجفانها مقادير النور فقلت لمن أنت؟ فبكت وقالت: إلى المقتول ظلماً الحسين بن علي بن أبي طالب ثم تقدمت أمامي فإذا أنا برطب ألين من الزبد وأحلى من العسل فأخذت رطبة فأكلتها وأنا اشتهيها فتحولت الرطبة نطفة في صلبني فلما هبطت إلى الأرض وقعت خديجة فحملت

بفاطمة ففاطمة حوراء انسية فإذا اشتقت إلى الجنة شممت رائحة فاطمة .

٤ - وروى مرسلًا: ان آدم ﷺ لما هبط إلى الأرض لم ير حواء فصار يطوف الأرض في طلبها فمر بكربلاء فاغتم وضاق صدره من غير سبب وعثر في الموضع الذي قتل فيه الحسين حتى سال الدم من رجله فرفع رأسه إلى السماء وقال: إلهي هل حدث مني ذنب آخر فعاقبني به فإني طفت جميع الأرض وما أصابني سوء مثل ما أصابني في هذه الأرض. فأوحى الله إليه يا آدم ما حدث منك ذنب ولكن يقتل في هذه الأرض ولدك الحسين ظلما فسال دمك موافقة لدمه فقال آدم ﷺ: يا رب أكون الحسين نيبا قال: لا ولكنه سبط النبي محمد ﷺ، فقال: ومن القاتل؟ قاتله يزيد لعين أهل السموات والأرض فقال آدم: فأى شيء أصنع يا جبرئيل، فقال: العنه فلعنه أربع مرات ومشى خطوات إلى جبل عرفات فوجد حواء هناك .

٥ - وروى أن ابراهيم ﷺ مر في أرض كربلاء وهو راكب فعثرت به وسقط ابراهيم وشج رأسه وسال دمه فأخذ في الاستغفار وقال: إلهي أي شيء حدث مني فنزل جبرئيل وقال: يا ابراهيم ما حدث منك ذنب ولكن هنا يقتل سبط خاتم الانبياء وأبن خاتم الاوصياء فسال دمك موافقة لدمه، قال: يا جبرئيل ومن يكون قائله قال: لعين أهل السموات والأرضين والقلم جرى على اللوح بلعنه بغير إذن ربه فأوحى الله إلى القلم إنك استحققت الثناء بهذا اللعن. فرفع ابراهيم يديه ولعن يزيد لعنا كثيرا وأمن فرسه بلسان فصيح فقال ابراهيم لفرسه: أي شيء عرفت حتى تؤمن فقال: يا

ابراهيم أنا افتخر بركوبك علي فلما عثرت وسقطت عن ظهري عظمت خجلتي وكان سبب ذلك من يزيد لعنه الله تعالى .

٦ - وروى ان نوحا لما ركب السفينة طافت به في جميع الدنيا فلما مرت بكربلاد أخذته الأرض وخاف نوح الغرق فدعا ربه وقال : إلهي طفت جميع الدنيا وما أصابني فزع مثل ما أصابني في هذه الأرض فنزل جبرئيل وقال : يا نوح في هذا الموضع يقتل فيه الحسين سبط محمد خاتم الانبياء وابن خاتم الاوصياء فقال : ومن القاتل له يا جبرئيل ؟ قال : قاتله لعين سبع سموات وسبع أرضين فلعنه نوح أربع مرات فسارت السفينة حتى بلغت الجودي واستقرت عليه .

٧ - وروى إن اسماعيل عليه السلام كانت أغنامه ترعى بشط الفرات فأخبره الراعي انها لا تشرب الماء من هذه المشرعة منذ كذا يوما فسأل ربه عن سبب ذلك فنزل جبرئيل وقال يا اسماعيل سل غنمك فإنها تجيبك عن سبب ذلك ؟ فقال لها لم لا تشربين من هذا الماء ؟ فقالت بلسان فصيح : قد بلغنا ان ولدك الحسين عليه السلام سبط يقتل هنا عطشا فنحن لا نشرب من هذه المشرعة حزنا عليه فسألها عن قاتله فقالت : يقتله لعين أهل السموات والأرضين والخلائق أجمعين فقال اسماعيل : اللهم العن قاتل الحسين عليه السلام .

٨ - وروى ان موسى عليه السلام كان ذات يوم سائرا ومعه يوشع بن نون فلما جاء إلى أرض كربلاء انخرق شسع نعله وانقطع شراكه ودخل الحسك في رجله وسال دمه فسأل ربه فقال له : لقد سال دمك موافقة لدم الحسين فقال : رب ومن يكون الحسين فقيل له : سبط محمد المصطفى وابن علي المرتضى فقال : يا رب ومن قاتله ؟

فقليل لعين السمك في البحار والوحوش في القفار والطير في الهواء
فرفع موسى يديه ولعن يزيد ودعا عليه وأمن يوشع بن نون على
دعائه ومضى لشأنه.

٩ - وروى ان سليمان كان يجلس على بساطه ويسير في الهواء
فمر ذات يوم وهو سائر في أرض كربلاء فأدارت الريح بساطه ثلاث
دورات حتى خاف السقوط فسكنت الريح ونزل البساط في أرض
كربلاء. فقال سليمان للريح: لم سكنت، فقالت: ان هنا يقتل
الحسين عليه السلام فقال ومن يكون الحسين: فقالت هو سبط محمد
المختار وابن علي حيدر الكرار فقال: ومن قاتله؟ قال: لعين أهل
السموات والأرض يزيد. فرفع سليمان يديه ولعنه ودعا عليه وأمن
على دعائه الانس والجن فهبت الريح وسار البساط.

١٠ - وروى ان عيسى عليه السلام، كان سائحا في البراري ومعه
الحواريون فمروا بكربلاء فرأوا أسداً كاسراً قد أخذ الطريق فتقدم
عيسى عليه السلام إلى الاسد فقال له: لم جلست في هذا الطريق؟ وقال: لا
تدعنا نمر فيه؟ فقال الاسد بلسان فصيح: إني لم أدع لكم الطريق حتى
تلعنوا قاتل الحسين عليه السلام فقال عيسى عليه السلام ومن يكون الحسين عليه السلام
قال: هو سبط النبي الامي وابن علي الولي، قال: ومن قاتله، قال:
قاتله لعين الوحوش والذئاب والسباع ودعا عليه وأمن الحواريون على
دعائه فتنحى الاسد عن طريقهم ومضوا لشأنهم.

١١ - وروى عن بعض الثقات الاخيار، ان الحسن والحسين
دخلوا يوم العيد إلى حجرة جدهما رسول الله ﷺ فقالا: يا جداه
اليوم يوم عيد وقد تزين اولاد العرب بألوان اللباس ولبسوا جديد
الثياب وليس لنا ثوب جديد وقد توجهنا لذلك إليك فتأمل النبي ﷺ

حاليهما وبكى ولم يكن عنده في البيت ثياب تليق بهما ولا رأى ان يمنعهما فيكسر خاطرهما فدعا ربه وقال: إلهي أجبر قلبيهما وقلب امهما. فنزل جبرئيل ومعه حلتان بيضاوان من حلل الجنة فسر النبي ﷺ وقال يا سيدي شباب أهل الجنة خذا أثواباً خاطها خياط القدرة على قدر طولكما فلما رأيا الخلع بيضا قالا: يا جبرائيل كيف هذا وجميع صبيان العرب لابسون الوان الثياب فأطرق النبي ﷺ ساعة مفكرا في امرهما. فقال جبرئيل يا محمد طب نفسا وقر عينا ان صابغ صبغة الله يقضي لهما هذا الامر ويفرح قلوبهما بأي لون شاء فأمر محمد ﷺ بإحضار الطست والابريق فأحضرا فقال جبرئيل: يا رسول الله أنا أصبّ الماء على هذه الخلع وانت تفركما بيدك فتصبغ لهما بأي لون شاء. فوضع النبي ﷺ حلة الحسن في الطست فأخذ جبرئيل يصب الماء ثم اقبل النبي على الحسن ﷺ فقال له: يا قرّة عيني بأي لون تريد حلتك؟ فقال: أريدها خضراء ففركها النبي ﷺ بيده في ذلك الماء فاخذت بقدرة الله لونا أخضر فائتقا كالزبرجد الأخضر فأخرجها النبي ﷺ وأعطاهما الحسن فلبسها. ثم وضع حلة الحسين ﷺ في الطست وأخذ جبرئيل يصب الماء فالتفت النبي إلى نحو الحسين ﷺ وكان له من العمر خمس سنوات وقال له يا قرّة عيني أي لون تريد حلتك؟ فقال الحسين: يا جد أريدها حمراء ففركها النبي ﷺ بيده في ذلك الماء فصارت حمراء كالياقوت الاحمر فلبسها الحسين فسر النبي ﷺ بذلك وتوجه الحسن والحسين إلى امهما فرحين مسرورين. فبكى جبرئيل ﷺ لما شاهد تلك الحال فقال النبي: يا أخي يا جبرئيل في مثل هذا اليوم الذي فرح فيه ولداي تبكي وتحزن، فبا لله عليك الا ما أخبرتني فقال جبرئيل: اعلم يا رسول الله ان اختيار ابنيك على

اختلاف اللون فلا بد للحسن ان يسقوه السم ويخضر لون جسده من عظم السم ولا بد للحسين ان يقتلوه ويذبحوه ويخضب بدنه من دمه فبكى النبي ﷺ وزاد حزنه لذلك.

١٢ - وقال أصحاب الحديث فلما اتت على الحسين ﷺ سنة كاملة، هبط على النبي ﷺ إثنا عشر ملكا على صور مختلفة أحدهم على صورة بني آدم يعزونه ويقولون إنه سينزل بولئك الحسين ﷺ ابن فاطمة ما نزل بهابيل من قابيل وسيعطي مثل أجر هابيل ويحمل على قاتله مثل وزر قابيل ولم يبق ملك الا نزل إلى النبي ﷺ يعزونه والنبي ﷺ يقول: اللهم اخذل خاذله واقتل قاتله ولا تمتعه بما طلبه.

١٣ - ولما أتت عليه ستتان خرج النبي ﷺ إلى سفر فوفق في بعض الطريق واسترجع ودمعت عيناه فسئل عن ذلك فقال: هذا جبرئيل يخبرني عن أرض بشط الفرات يقال لها كربلاء يقتل فيها ولدي الحسين ﷺ وكأني انظر إليه والى مصرعه ومدفنه بها وكأني انظر إلى السبايا على اقتاب المطايا وقد اهدي راس ولدي الحسين إلى يزيد لعنه الله، فوالله ما ينظر أحد إلى رأس الحسين ويفرح الا خالف الله بين قلبه ولسانه وعذبه الله عذابا اليما.

ثم رجع النبي ﷺ من سفره مغموما مهموما كئيبا حزينا فصعد المنبر وأصعد معه الحسن والحسين وخطب ووعظ الناس فلما فرغ من خطبته وضع يده اليمنى على رأس الحسن ويده اليسرى على رأس الحسين، وقال: اللهم أن محمدا عبدك ورسولك وهذان أطايب عترتي وخيار أرومتي وأفضل ذريتي ومن أخلفهما في امتي وقد أخبرني جبرئيل ان ولدي هذا مقتول بالسم والآخر شهيد مخرج بالدم. اللهم

فبارك له في قتله واجعله من سادات الشهداء اللهم ولا تبارك في قتله وخاذله واصله حر نارك واحشره في أسفل درك الجحيم.

قال: فضج الناس بالبكاء والعيول فقال لهم النبي: ايها الناس أتبكونه ولا تنصرونه، اللهم فكن انت ولياً وناصرأ ثم قال: يا قوم إني مخلف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي وأرومتي ومزاج مائي وثمره فؤادي ومهجتي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض الا واني لا أسألكم في ذلك الا ما امرني ربي ان أسألكم عنه. أسألكم عن المودة في القربى واحذروا ان تلقوني غدا على الحوض وقد آذيتم عترتي وقتلتهم أهل بيتي وظلمتموهم. الا انه سيرد علي يوم القيامة ثلاث رايات من هذه الامة: الاولى راية سوداء مظلمة قد فزعت منها الملائكة فتقف علي فأقول لهم: أنا أحمد نبي العرب والعجم فيقولون: نحن امتك، فأقول عندما اسمع ذلك منهم اعرض عنهم وجهي فيصدرون عطاشى مسودة وجوههم.

ثم ترد علي الحوض راية أخرى اشد سوادا من الاولى فأقول لهم: من أنتم فيقولون نحن أهل كلمة التوحيد والتقوى من امة محمد المصطفى ونحن بقية أهل الحق حملنا كتاب ربنا وحللنا حلاله وحرمنا حرامه وأحببنا ذرية نبينا محمد ﷺ ونصرناهم من كل ما نصرنا به أنفسنا وقتلنا معهم من ناداهم. فأقول لهم ابشروا فأنا نبيكم محمد ولقد كنتم في الدين كما قلت. ثم أسقيهم من حوضي فيصدرون مسرورين مستبشرين ثم يدخلون الجنة خالدين فيها أبد الآبدين^(١).

(١) نقلت هذه الرواية من كتاب البحار م ٤٤ ص ٢٤٦.

ذكرت هذا العرض من الروايات كمقدمة لأذكر ان ملحمة كربلاء خطة إلهية مدروسة عرفها للانبياء والأولياء وعرفها للنبي والإمام علي وفاطمة والحسن والحسين نفسه كما عرفهم جميع مصائبهم ونكبات حياتهم وظهرت لهم لوحات المصائب على شاشات الحياة وكانوا ينظرون اليها بكل صبر وراحة واطمئنان ومع كل معرفتهم بالقدر كانوا ينزلون إلى معركة الحياة كأنهم يمارسون شيئاً يجهلونه غيرهم من الذين يرتادون الدنيا من مواقعها الأساسية ويخوضون غمار الموت وهو ألد لهم من الحور العين وما ذاك الا لأن نفوسهم الطاهرة تواصلت مع حق اليقين فأنسوا والتذوا باللذائذ المعنوية وسخروا بكل البلايا في سبيل الوصول إلى الدرجات العلى وجنات الخلد ومصاف أهل الحق والمعرفة.

وترك لهم ربهم حرية العمل ولكنهم اختاروا ورود الموت في سبيل العزة والكرامة والمتعة الاخرية وكان كل همهم نزع لباس الوسخ ولبس لباس أهل الملكوت فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون ولولا الاجل الذي كتب لهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقا إلى الثواب وخوفا من العقاب.

وهذا سرد لا بد منه للوصول إلى إشراقات الأرواح العالية في البحوث القادمة لنطمئن اننا مع ملحمة إلهية عاشها النبيون والمرسلون والملائكة المقربون والأولياء والصالحون وان هذه الملحمة الحسينية الخالدة هي الميزان والمقياس لكل بني الدنيا وأنها وأهلها ورجالها هم الحجة يوم لا حجة وهم الصراط الاقوم والسبيل الأفضل وان الرؤيا من خلالهم والسير على منوالهم هو السير

الموصل إلى رضوان الرب وجنان الخلد ورؤية الأبرار ومرافقة النبي وأهل بيته.

معجزات - كرامات - إسرقات

في عيون المعجزات للمرتضى رحمه الله عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ^(١) قال: جاء أهل الكوفة إلى علي عليه السلام فشكوا إليه امساك المطر وقالوا له استسق لنا فقال لولده الإمام الحسين عليه السلام قم واستسق فقام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي وقال: اللهم معطي الخيرات ومنزل البركات أرسل السماء علينا لتذهب الضعف من عبادك وتحيا به الميت من بلادك آمين رب العالمين. فلما فرغ من دعائه حتى غاث الله تعالى غيثا بغثة وأقبل أعرابي من بعض نواحي الكوفة فقال تركت الأدوية والآكام يموج بعضها ببعض. وفي بعض الروايات كانت العادة الإسلامية كلما امسكت السماء مطرها كان العرب يستسقون وكان بنو هاشم يدعون بدعوة جدهم إبراهيم وكانوا يمحطون ببركة هذا الدعاء ولما ولد النبي محمد ﷺ كان أبو طالب عمه يأخذه معه للاستسقاء أيام الجذب وكان النبي يدعو ببركة دعاء النبي قبل النبوة كانوا يسقون. ومن هنا قال أبو طالب في مدح النبي ﷺ.

وأبيض يستسق الغمام بوجهه شمال اليتامى عصمة للارامل وفي زمن النبي ﷺ كان النبي يخرج إلى خارج المدينة ويستسقي فيسقي وكان لا يرفع يديه إلى السماء حتى تتساقط الأمطار

(١) البحار ج ٢٤ ص ١٨٧.

الغزيرة ويغرق الناس بالمطر أو يكادون عندها، يقول اللهم حوالينا ولا علينا.

وبعد وفاة النبي ﷺ كان الصحابة يخرجون إلى الاستسقاء ويخرجون معهم العباس عم النبي ﷺ ويطلبون من الله ببركة عم النبي ويتجاهلون وجود الإمام علي والحسين وفي زمن خلافة الإمام علي كان وهو يخرج ويدعو ويصلي ويُسقى ولكن في هذه المرة امر ولده الإمام الحسين عليه السلام صاحب الشأن مع هؤلاء يريد ان يدلهم عليه سلفا بأنه إمامكم وبه تدفع البلاءات وبه تسقون غيثكم وتقول الرواية فلما رفع يديه إلى السماء تساقط الغيث مدرارا. هل هناك تفسير الا ان عليا وجه ولده الحسين ليعرف الناس قدره وأنه ابن القوّات الروحية وان الانواء طوع يديه والسماء ملك يمينه ومفتاح السحاب بيده وما صدر عن المعصوم ببساطة وسهولة لا يمكن ان يصدر عن غيره لأنه مزود بقدرة خارقة للعادة للفت نظر أهل الكوفة إلى الحسين له مغزى مهم في تعريف الحسين وسطوته على السحاب والمطر والشمس والقمر ولكنهم رأوا المعجزة والكرامة وإشراق الروح الشفافة ومع ذلك انصرفوا عنه واندفعوا إلى غيره وما يضير نفس أبي عبد الله المتعلقة بعالم الملكوت ان يتفلت الناس من حبال الحق ويتعلقوا بحبال الباطل ويمسكوا بخيط العنكبوت وسيبقى سيد الشهداء هو هو غيث الامة وسحابها الهاطل وقمرها المتسع وأملها وحلمها اللذيد.

ونقل صاحب البحار عن تاريخ الطبري عن طاووس اليماني ان الحسين بن علي عليه السلام كان إذا جلس في المكان المظلم يهتدي إليه الناس ببياض جبينه ونحره وان رسول الله ﷺ كان كثيرا ما يقبل

جبينه ونحره. وان جبرئيل عليه السلام نزل يوما فوجد الزهراء عليها السلام نائمة والحسين في مهده يبكي فجعل يناغيه ويسليه حتى استيقظت فسمعت صوتاً يناغيه فالتفت فلم تر أحدا فأخبرها النبي صلى الله عليه وآله انه كان جبرئيل عليه السلام.

فأي شخص هذا الذي يناغيه جبرئيل ويفديه محمد ووجهه يشرق في الليل كما يشرق الفجر ويهتدي الناس إليه بجمال نوره. نعم انه قطعة من النور الإلهي حيث خلق من أنوار جده وأبيه وامه واخيه واستمر خط النور في الأصلاب الطاهرة والارحام المطهرة وظل الألق يعلو في كل زمان ومكان وظل الإمام الحسين عليه السلام قطعة النور المتألئة عبر العصور.


روى في البحار في باب الاحتجاج ان مروان بن الحكم قال للحسين عليه السلام لولا فخركم بفاطمة بما كنتم تفخرون علينا فوثب الحسين عليه السلام وكان شديد القبضة فقبض على حلقه فعصره ولوى عمامته على عنقه حتى غشي عليه ثم تركه وأقبل الحسين عليه السلام على جماعة من قريش فقال: انشدكم بالله الا صدقتموني ان صدقت أتعلمون ان في الأرض حبيبين كانا أحب إلى رسول الله مني ومن أخي أو على ظهر الأرض ابن بنت نبي غيري وغير أخي قالوا: لا اقول واني لا اعلم ان في الأرض ملعون بن ملعون غير هذا وأبيه طريد رسول الله صلى الله عليه وآله كان هذا في مجلس معاوية ومروان من الحاشية بل جزء من الحكم الفاشي والخوف يلاحق الناس حتى في بيوتهم ومع كل هذا يقوم الحسين فيلوي عنق الباطل المتمثل بمروان الوزغ بن الوزغ ثم يخاطب جماعة قريش فيرشدهم ويذكرهم بأحقية وأن مروان من أعداء الله وهو ابن طريد رسول الله.

نفس قوية مرتبطة بالحق الازلي تنكشف لها قدرة الحق فتعطيها مددا معنوياً ومادياً فيسكت الباطل ويحفظ القيم ولا يتحرك معاوية بشيء تجاه ما شاهده من قوة خارقة وأدب عارم ونفس جياشة بالعاطفة المحقة والطريقة الحقة. هذا هو أسلوب أبو الشهداء كتلة العنفوان وروعة الشمم وقمة الانتصار للشهامة والحق والمروءة.

مرائف مبدئية

روي في البحار م ٢٤ ص ٢١٢ ما يلي:

ان مروان بن الحكم كتب إلى معاوية وهو عامله على المدينة، اما بعد فإن عمرو بن عثمان ذكر أن رجلاً من أهل العراق ووجه أهل الحجاز يختلفون إلى الحسين بن علي وذكر أنه لا يؤمن وثوبه. وقد بحثت عن ذلك فبلغني أنه لا يريد الخلاف يومه هذا ولست آمن أن يكون هذا أيضاً لما بعده فاكتب إلي برأيك، فيه والسلام.

فكتب إليه معاوية أما بعد فقد بلغني وفهمت ما ذكرت فيه من أمر فإياك أن تعرض للحسين في شيء واترك حسيناً ما تركك فإنا لا نريد أن نعرض له في شيء ما وفي بيعتنا ولم ينازعنا سلطاننا فاكمن عنه ما لم يبد لك صفحته والسلام وكتب إلى الحسين بن علي  :

أما بعد فقد انتهت إلي أمور عنك إن كانت حقاً فإني لم أظنها بك رغبة عنها وإن كانت باطله فأنت أسعد الناس بمجانبتها وبحظ نفسك تبدأ وبعهد الله توفي فلا تحملني على قطيعتك والاساءة إليك فإنك متى تنكرني انكرك ومتى تكذني اكذك فاتق الله يا حسين في

شق عصا هذه الامة وان تردهم في فتنه^(١) ورفع الإمام إلى معاوية مذكرة خطيرة جدا وهي من أروع الوثائق الرسمية التي حفلت بذكر الاحداث التي صدرت من معاوية، وهذا نصها:

أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر فيه انه انتهيت إليك عني أمور انت راغب وانا بغيرها عندك جدير وان الحسنات لا يهدى لها ولا يسدد اليها الا الله اما ما ذكرت أنه رقي إليك عني فإنه انما رقاہ إليك الملاقون المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الجمع وكذب الغاوون ما أردت لك حربا ولا عليك خلافا وإنني لأخشى الله في ترك ذلك منك ومن الاعذار إليك فيه والى أوليائه القاسطين حزب الظلمة.

الست القاتل حجر بن عدي أخا كنده وأصحابه المصلين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم ويستعظمون البدع ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولا يخافون في الله لومة لائم ثم قتلتهم ظلما وعدوانا من بعد ما اعطيتم الإيمان المغلظة والمواثيق المؤكدة جرأة على الله واستخفافا بعهده.

اولست قاتل عمرو بن الحمق الخزاعي صاحب رسول الله ﷺ العبد الصالح الذي ابلته العبادة فنحل جسمه واصفرّ لونه فقتلته بعدما آمنته وأعطيته ما لو فهمته العصم لنزلت من رؤوس الجبال.

او لست المدعي زياد بن سمية المولود على فراش عبيد ثقيف فزعمت أنه ابن ابيك وقد قال رسول الله ﷺ: الولد للفراش وللعاهر الحجر، فتركت سنة رسول الله ﷺ تعمدًا وتبعت هواك بغير

(١) أنساب الأشراف ج ١.

هدى من الله ثم سلطته على أهل الإسلام يقتلهم ويقطع ايديهم وارجلهم ويسمل اعينهم ويصلبهم على جذوع النخل كأنك لست من هذه الامة وليسوا منك.

اولست قاتل الحضرمي الذي كتب فيه إليك زياد انه على دين علي عليه السلام فكتبت إليه ان اقتل كل من كان على دين علي فقتلهم ومثل بهم بأمرك ودين علي هو دين بن عمه عليه السلام الذي أجلسك مجلسك هذا ولولا ذلك لكان شرفك وشرف آبائك تجشم الرحلتين رحلة الشتاء والصيف.

وقلت: فيما قلت انظر لنفسك ودينك ولأمة محمد عليه السلام واتق شق عصا هذه الامة وان تردهم إلى فتنة واني لا اعلم فتنة اعظم على هذه الامة من ولايتك عليها ولا اعظم لنفسي ولديني ولأمة محمد عليه السلام أفضل من ان أجاهدك فإن فعلت فإنه قرابة إلى الله وان تركته فإنني أستغفر الله لديني وأسأله توفيقه لإرشاد أمري وقلت: فيما قلت إني إن انكرتك تنكرني وإن اكدك تكدني فكدني ما بدالك فإنني أرجو ان لا يضرني كيدك وان لا يكون على أحد أضر منه على نفسك لأنك قد ركبت جهلك وحرصت على نقض عهدك.

ولعمري ما وفيت بشرط ولقد نقضت عهدك بقتلك هؤلاء النفر الذين قتلتهم بعد الصلح والإيمان والعهود والمواثيق فقتلتهم من غير أن يكونوا قاتلوا ولم تفعل بهم ذلك الا لذكرهم فضلنا وتعظيمهم حقنا مخافة امر لعلك لو لم تقتلهم مت قبل ان يفعلوا أو ماتوا قبل ان يدركوا.

فأبشر يا معاوية بالقصاص واستيقن بالحساب واعلم ان الله تعالى كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

وليس بناسٍ لأخذك بالظنة وقتلك أوليائه على التهم ونفيك إياهم من دورهم إلى دار الغربية وأخذك الناس ببيعة ابنك الغلام الحدث يشرب الشراب ويلعب بالكلاب ما أراك الا خسرت نفسك وتبرت دينك وغششت رعيتك وسمعت مقالة السفية الجاهل واخفت الورع التقي^(١).

فرصة الرد كانت متلائمة مع كثرة الاحداث التي ذكرها سيد الشهداء عليه السلام فانتهاز هذه الفرصة ليرد عليه وليعلمه الخطأ والصواب وليعري حكمه من الحكمة والسداد السياسي بعدما عرّاه فعله من الحق الشرعي حيث اعتدى على النفوس البريئة فزهقها والاموال المحرمة فأكلها والفروج المحترمة فنزا عليها وبعد أن فحت عفونة حواشيه من اكل الحرام وارتكاب الزنا المحرم وبعد إخافتهم المؤمنين وملاحقة أولياء علي المشاهير بالحرب الرهبان في المحاريب بعد هذا كله لا بد من موقف أبي شجاع ومن اولى من سيد الشهداء حامي الشريعة وإمام الشيعة الاسد الوثوب والليث الغضوب صاحب النبل والكرامة والانفة والسلامة الذي يحمل هيبة جده وشجاعة أبيه وحلم أخيه وأنوار أمه فاطمة ويتحمل مسؤولية الامة والشريعة والدين والإسلام والقرآن لقد كان سيد الشهداء يرى بنافذ بصيرته وسداد رأيه وحكمة معرفته ومورث علم أبيه وجده ان بني أمية سيلحقون بالإسلام أكبر الاذى ويشوهون إشراقته وبهجته ويلوثون شرف الإسلام والمسلمين بمطامعهم ودناءة رجالهم ونسائهم.

كان الحسين عليه السلام يعرف كل ذلك ويرى صبية أمية وغلمانها

(١) الإمامة والسياسة.

يأكلون التراث اكلا لما ويحبون المال حبا جما ويركبون الفواحش ولا يتورعون عن ارتكاب المحارم فقام بالواجب الشرعي لإفراغ ذمته لأن كلامه أمر بمعروف ونهي عن منكر بل كلمة حق إمام سلطان جائر .

نحن إمام مشاهد رائعة من الإشراقات الكربلائية يظهرها التاريخ . في باب فضل الشهداء عن الإمام أبي عبد الله الحسين رواه عنه ابن عماره في البحار ج ٢٤ ص ٢٩٧ .

- قلت للإمام الصادق عليه السلام أخبرني عن أصحاب الحسين عليه السلام وإقدامهم على الموت فقال عليه السلام : انهم كشف لهم الغطاء حتى رأوا منازلهم من الجنة فكان الرجل منهم يقدم على القتل ليبارز إلى حوراء يعانقها وإلى مكانه في الجنة .

- وعن أبي جعفر الثاني بنفس المصدر والصفحة قال علي بن الحسين عليه السلام لما اشتد الامر بالحسين بن علي بن أبي طالب نظر إليه من كان معه فإذا هو بخلافهم لأنه كلما اشتد الامر تغيرت ألوانهم وارتعدت فرائصه تشرق ألوانهم وتهدأ جوارحهم وتسكن نفوسهم .

فقال بعضهم لبعض : انظروا لا يبالي بالموت فقال لهم الحسين عليه السلام صبرا بني الكرام فما الموت الا قنطرة تعبر بكم عن البؤس والضراء إلى الجنان الواسعة والنعيم الدائم فأياكم يكره ان ينتقل من سجن إلى قصر . وما هو لأعدائكم الا كمن ينتقل من قصر إلى عذاب وسجن .

إن أبي حدثني عن رسول الله ﷺ أنه قال : الدنيا سجن

المؤمن وجنة الكافر والموت جسر هؤلاء إلى جناتهم وجسر هؤلاء إلى جحيمهم ما كذبت ولا كذبت.

ونحن في توجه عام لإبراز هذه المشاهد الرائعة والأنوار الساطعة وسوف نبدأ من الرحلة المحتمومة من المدينة المنورة ثم إلى كربلاء والشهادة ثم نتحدث عن آثار الشهادة وإشراقاتها وانعكاساتها باختصار. واختتم هذا الفصل في هذه الرواية.

في البحار كما في الأول عن الإمام الصادق عليه السلام عن النبي ﷺ ستة لعنهم الله وكل نبي مجاب الزائد في كتاب الله والمكذب بقدر الله والتارك لسنني والمستحل من عترتي ما حرم الله والمتسلط بالجبروت ليزل من اعزه الله ويعز من أذله الله والمستأثر بفيئ المسلمين المستحل له.

بداية الرحلة

المدينة:

لما هلك معاوية واستلم ولده يزيد مهمات الحكم كان حريصاً على بيعه الإمام الحسين له بأي ثمن لأنه عندما يبايع الإمام الحسين عليه السلام لا يتأخر عنه أحد وبهذا ينهي صراعاً طال أمده ويضمن الحكم لبني أمية كما كان رأي أبيه معاوية من قبل وسيد الشهداء ومعه جمع كبير من أهل الخير والحق ومن له رغبة أيضاً في السلطة كعبيد الله بن الزبير وابن عمر وابن أبي بكر وكثير من اولاد الصحابة وعلماء الحديث والتفسير كانوا على خلاف بيعه يزيد. ولما كان يزيد بعيداً عن الحكمة والدهاء السياسي ولم يكن له من مستشاريه وأعوانه من هو كذلك سارع إلى واليه الوليد بن عتبة بن

أبي سفيان وهو ابن عمه أيضاً بالكتاب التالي: ان معاوية قد مات وبات الحكم بيدي اقلبه كيف اشاء فإذا ورد عليك كتابي هذا فخذ البيعة على أهل المدينة عامة. ثم أرفق الكتاب بورقة صغيرة منها: خذ الحسين وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن الزبير أخذاً شديداً ومن ابى فاضرب عنقه وابعث الي برأسه.

ولما وصل الكتاب إلى الوالي فبعث إلى الإمام الحسين وابن الزبير منتصف الليل رجاء ان يبايعا ليلاً وبعدها لا يتخلف عن البيعة أحد خصوصاً وان الباقيين غير طامحين في الحكم ولم تتوفر فيهم مواصفات حكومتيه وهم عازفون عن الامر وقد حشر اسم بن عمر وابن أبي بكر بنظري حشراً حتى لا يقال ان المعارضة كانت فقط في آل البيت وهو ديدن تاريخي معروف كلما لاحت بارقة ومنقبة لآل محمد جهزوا لها منقبة مماثلة لغيرهم حتى لا يبقى أهل البيت وحدهم أهل المناقب والا فتاريخ ابن عمر بعد ذلك ليس فيه الا ولاء للظلمة وقد صرح بعد وقعة الحرب بكل جرأة تأييده للظالم السفاح «وقال نحن مع من غلب».

وتذاكر الحسين عليه السلام مع ابن الزبير فأخبره الحسين بفراسته أو بكشفه الروحاني ان معاوية قد هلك والامر أمر بيعة وأصطحب معه ثلاثين شاباً من شجعان بني هاشم وفيهم العباس بن علي المعروف بقوة شكيمة وطول قامته وأوصاهم الإمام أن يسكنوا ما سكن الإمام وعالج القضية بالحكمة والهدوء وأشار ابن الزبير بترك الزيارة وعدم الذهاب إلى الوالي لكن الحسين عليه السلام رأى ذلك بثاقب بصيرته بأن اقدامه وعدم خوفه أفضل من جانبيين:

الاول: أن ذهابه إلى الوالي يجعله في موقع ايجابي من الدعوة.

والثاني: يتفهم جيدا حالات الدعوة ويجب عليها ويأخذ من هذه المبادرة الجواب المناسب.

ولما عرض الوالي موت معاوية استرجع الإمام وعندما عرض عليه البيعة أجابه بأنك لا ترضى ببيعتنا سرا فقال: نعم قال: إذن تدعو الناس وتدعوننا معهم ونرى رأينا فرأي الوليد بأن هدوء الحسين وسهولة الجواب يساعد على أخذ البيعة باللين فلا معنى للشدة إذن ولهذا قال له: إذهب وشكر له استجابته آملا أن يكون مع الناس في الموعد الحاشد لاستقبال البيعة.

غير ان مروان بن الحكم الذي لا يعرف منه الا الشر لام الوالي وحذره من المماطلة وقال له إمام الحسين: ان فعلك هذا غلط يقوم به الجبان والذي لا يفهم السياسة والسلطان والرأي عندي منعه من الخروج حتى يبايع فإن ابى عن البيعة تضرب عنقه وينتهي النزاع وتربح المعركة السياسية.

وخاف الإمام الحسين من سوء العواقب وان يكون الوالي قد بيت شيئا من هذا الذي ذكر خيط الباطل مروان بن الحكم.

فصاح على مروان ويلك يا بن الزرقاء انت تأمر بقتلي ثم التفت إلى الامير اعلم ايها الامير. إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح الله وبنا يختم ويزيد رجل فاسق شارب الخمر وقاتل للنفس المحترمة معلن بالفسق والفجور ومثلي لا يبايع مثله ولكن نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون فأغلظ الوليد في كلامه وارتفعت الأصوات فهجم الشباب الهاشمي ومعهم خناجرهم ومنعوا الوليد من الاتيان بأية حركة غير عادية وفعلا ان الامير لم يكن مجهزا لخوض معركة بهذا الحجم فمباغثة الإمام الحسين له واعلان هذا

الرأي الصارخ والشجاع جعله في موقع الجبان المتردد ودخول الشباب بسرعة فوت على مروان فرصته وذهب رأيه عرض الحائط .

لا اعتقد ان الحسين عليه السلام كان بعيدا عن جو الشام والبيعة من ناحية ومن ناحية الاطلاع والمراقبة والإعتقاد وانه كان غافلا إلى هذا الحد ينتظر ان يأتيه الغلمان لأخذه إلى البيعة قسرا كما كان ايام معاوية . والواضح عندي ان الامام عليه السلام كان على علم بكل ما يجري وان اقدامه لمثل هذا العمل السريع كان وفق خطة تضيع على الوالي اية فرصة يأخذها لمنع الحسين من التحرك ومن الطبيعي لثائر مثل الحسين عليه السلام ان يضرب الرأس من المرة الاولى ولا يماطل حتى يهيء جو المعركة الحاسمة لأن مماطلته أو بيعته سوف تمنع الناس من الكتابة إليه ودعوته إلى الكوفة وبالتالي لا يبقى لا عون ولا ناصر ولا من يحمله المسؤولية فكيف يترك ويرحل ان هي الا مجازفة دون خطة . ولكن الخطة التي اتبعها أحبطت المؤامرة الهادئة التي اتخذها الوالي وأحبطت المؤامرة المقترحة التي قدمها خيط الباطل مروان وجرأت الحسين عليه السلام على موقف شجاع لكسر هيبة الوالي وبالتالي هيبة السلطة الجديدة المتهورة والمجنونة فهذه الصفحة وصلت إلى الكوفة ووصل صداها إلى كل مكان خلال ايام مما جعل الجو الهادئ يتحرك وكل كامن مستور يخرج من مخبئه فتأمن الجو الحماسي الذي يريده الإمام لبداية انطلاقة الشرارة الاولى في مواجهة مبدئية بين سلطة عظمى وبين ثورة شعبية بسيطة ليس لها من المقومات الا تاريخ النبوة والإمامة واحقاق الحق وطلب العدالة الاجتماعية التي يهفو اليها الجميع .

ونقلوا بعد رفضه البيعة ان الحسين عليه السلام توجه إلى قبر جده

رسول الله ﷺ فسطع له نور وشكى إلى جده سوء معاملة الأمويين له وانه يريد ان ينهض بالامر. ولا نشك نحن ان الإمام المعصوم قادر على التحدث مع جده مشافهة سواء جاء إلى قبره أو كان في بيته أو في أي مكان آخر ولكن مجيء الإمام إلى القبر الشريف يجعل الأمور تسير سيرا طبيعيا مقبولا فينكفى على القبر ويناجي جده ويخبره بما حصل ويأتيه الجواب الحاسم على القيام بواجبه ويعلمه سنن المشوار والمرحلة ووجوب الهجرة إلى مكة ثم إلى الكوفة وأنه لا خوف عليه بل عليه سلوك الطريق الاعظم وأنه لن يناله من الوالي ما يكره وعليه الخروج بجلبه وكثرة الاهل والاولاد والغلمان ليحدث ضجة واعلام شعبي ولو كان التلفاز موجودا لجيء به ليصور خروج الهاشميات وأن رحلة القهر والموت والشهادة والتضحية والمذبحة بدأت ورغم كشف المراحل إمام عيني الحسين ﷺ أبى الا ان يطبق الخطوات واحدة واحدة وهكذا نفهم ان بداية الرحلة لم تكن عشوائية وإنما كانت وفق رؤية كشف فيها عن كل المراحل الدامية والمعتمدة والمأساوية إلى نهاية عاشوراء ثم بداية رحلة الإشراف الكبرى في نقض صرح الدولة الأموية حجرا حجرا.

مكة:

أصر الإمام الحسين ﷺ ان يخرج من مدينة جده بأهله واخوانه وغلمانه ونسائه جهارا ويسلك الطريق الاعظم ورفض ان يسلك الطريق السري وعبر عن هذه الجرأة والشجاعة ببليغ من النثر والشعر.

وتمنع على كل محاولات التأخير وكأنه كان على موعد مسبق لا يمكنه تأجيله ورد نصح الاخوة المحبين برفق دون ان يطلعهم

على أسرار الرحلة وكشوفات اليقين وتكلم مع الجميع بنفس الثقة والحكمة والاتزان والهدوء.

وصل إلى مكة مستشرفا بها نزول الوحي وغار حار حراء وآثار أجداده وحت مكة بقضها وقضيضها إلى جنبه وعكف الناس عليه عكوف الطير على الماء.

وذكر ابن كثير في تاريخه ان الحسين عليه السلام لما خرج وابن الزبير من المدينة إلى مكة عكف الناس على الحسين عليه السلام يفدون إليه ويقدمون عليه ويجلسون حواليه ويستمعون كلامه.

والذي ينبغي ان لا يفوتنا في هذا الخبر التعبير بكلمة عكف وهي تفيد في كل مشتقاتها معنى التعلق والانقطاع فما كنت بواجد الا الحسين عليه السلام رجلا علقه الناس كل الناس عرضا كأنما هم من ناحية الدنيا يشهدون فيه حقيقة أخرى من عالم الابداع الالهي. فهو إذا نطق كأنما انطلق لسان الغيب يعبر عن راموزه ويكشف عن خفاياه وإذا صمت كأنما راح الغيب يعبر عن معناه بطريقة أخرى بلحن آخر فإن من الحقائق ما لا يعبر عنه الا الصمت العميق كالنقطة في ثنایا السطور فإنها تعطي معنى لا يقوم الا بها ولا يتم الا إذا كانت وهي بعد اشارة سلبية ولكنها تدل على غرض ايجابي أو كقرار النغم الصامت فإنه جزء من تمام اللحن الناطق^(١).

وفي الخبر صورة كاملة لمقام الحسين عليه السلام في زمن لم ينتف من طغيان السلطة وتحامل المتغلب ولكن أنى للقوة ان تحول بين الإنسان وقلبه أو بينه وبين ما هو من ضميره كيفما امتدت بأسبابها

(١) أيام الحسين ح ٣.

فإنها لا تحيك في مواطن الشعور. والخبر بعد ذلك يعرفنا ان عكوف الناس عليه لجميل خلقه وخلقه وعظيم علمه ومعرفته وهو رد طبيعي وعملي على الاعلام الأموي الذي كان يردد بأن الحسين عليه السلام قليل الرواية عن جده وفي نفس الوقت سمحوا لأبي هريرة ان يروي عشرات الآلاف من الاحاديث أكثرها موضوع.

وعلى كل حال فالحسين عالم آل البيت ووارث مدينة علم الرسول ﷺ وهو جزء لا يتجزأ من الأنوار المباركة.

وقد كان عارفا تنكشف لديه المعلومات ببصيرة هي نور الحق وعقل كاشف عن كل معارف العالمين ومع هذا كان له انصراف كبير بنفسه عن الدنيا ومتاعها. ويروى عن ولده الإمام السجاد عندما سئل ما أقل ولد ابيك قال عليه السلام العجب كيف ولدت لأبي كان لا يفتر عن الصلاة في ليل أو نهار فمتى يفرغ للنساء فهذا المتحنث المتأله المستغرق في أجواء الروحانية حتى الفناء في الحق هو الذي سنراه مجاهدا مكافحا عنيدا صنيديا في سوح المعارك والنزال حتى كأنه الاسد الذي لا تنال تلايبه فلم يكن يشغله امر عن امر ولا حاجة لله عن حاجة الناس.

وهي تربية أصيلة في اولاد علي الذي دنا من الحق حتى الفناء وتقرب من الغيب حتى الزوال حيث لمع برق الغيب في بصيرته فحواله إلى كائن آخر يمشي على الأرض وقلبه متعلق بالرفيق الاعلى.

ومن مكة أطل على الكوفة والبصرة وجميع أرجاء العراق أطل بقلبه المنير على طريق مرسومة ومواجهة محتومة وقلوب محرومة وأنفاس مكظومة ونفوس ملجومة أطل على ساحة العراق فرأى صراعا جادا بين ذئاب تعاوت لفرائسها وبين عباد قاموا الليالي في

حنادسها وافترق الكوفيون فرقا ثلاثة: موالون لعلي وآله، موالون لبنى أمية أو قل للسلطة الحاكمة وآخرون على التل لأن التل أسلم وما لهم والدخول بين السلاطين. والمعركة لا تكافؤ فيها من الجانب العسكري فهي محسومة سلفا للسلطة الأموية ولكن القلة المؤمنة أيضاً لها من قوتها الروحية ما يجعلها تريح المعركة السياسية والاعلامية في أول فرصة تتاح لبنات الوحي ومخدرات الرسالة. وكلما قرب الإمام من العراق كانت نفسه تبتهج وصدره ينشرح ووجهه يتلألأ لما يتلألأ القمر ليلة البدر.

والوجوه تسود والقلوب تخاف في يوم المواجهات والركب تصطك والزنود تمل والكلام يضعف عند الآخرين الا سيد الشهداء فكان كلما اشتد الخطب وعظم المصاب وتكاثر الأعداء وضائق الدنيا يشرق وجهه كأنه أصبح قريباً من ساعة الوصول وكأن ساعة الوصول ووقت والفرج بات وشيكا.

وقد ورد عن النبي ﷺ انه قال للحسين عليه السلام ان لك درجة مغشاة بنور الله لا تنالها الا بالشهادة.

السفر إلى العراق:

قبل خروج الحسين عليه السلام من مكة اوضح الغاية من السفر ولم يبق في جعبته شيئاً وحاشاه ان يبههم الامر على الناس خصوصاً وأن المعركة الدامية قادمة لا محالة وفيها لا ينفع من كان على شفا من دينه فلا بد أن يكون المقاتل مع الحسين يرى بأمر العين وبأمر البصيرة أنه على حق ولا يتزعزع إمام امواج الجيوش العاتية.

فقام روعي فداه خطيباً قائلاً: الحمد لله ما شاء الله ولا قوة الا

بالله وصلى الله على رسول الله . خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة وما اولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف وخير لي مصرع انا لاقيه . كأنني بأوصالي هذه تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء فيملآن مني اكراشا جوفاً وأجربة سغباً لا محيص عن يوم خط بالقلم رضا الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين ، لن تشذ عن رسول الله لحمته بل هي مجموعة معه في حظيرة القدس تقربهم عينه وينجز بهم وعده الا من كان فينا باذلاً مهجته موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإنني راحل إن شاء الله تعالى^(١) .

هل رأيت غبشاً وغشاً وخديعة أو تشويشاً على الاذهان حتى يكثر الأتباع ويقود جيشاً عرمرماً يدفعه للموت أو الخذلان أو ما إلى ذلك نعم رأيت وضوحاً وأنه مصمم على خوض معركة وأن أوصاله ستقطع ونساءه ستسبى وأمواله ستذهب في معركة غير متكافئة مع اعدائه عسكرياً ومادياً .

وان كروش الجيش الأموي ستمتلئ من دماء الحسين وأهل بيته وأصحابه ومن الوضوح بمكان ان نفهم ان إشرافة الروح الحسينية كانت تعلو هذه المسيرة الوحيدة واليتيمة التي تعرف ويعرف من فيها إلى حيث يذهبون وأنهم طلاب حق وعشاق شهادة وليسوا طلاب ملك وعشاق دنيا .

ومن هنا أقدموا على الموت وهم يكرعون كؤوسه صافية ملتذين بمائها الريان وعندما ارتوت نفوسهم الظمئ من كؤوس المنية تركوا أبدانهم في عرصات كربلاء وحلقوا بأرواحهم للملأ الاعلى .

(١) حياة الإمام الحسين ، باقر شريف القرشي ص ٤٨ ج ٢ .

الموقف القائد والموقف الصائب والموقف الصادق هو موقف سيد الشهداء ومن هنا غرل المعركة وخضّهم مجتمعين ومنفردين فكانوا البقية والزبدة والعسل المصفى وذهب من كان له في الدنيا طمع او شبه طمع وبقي القوم الذين استماتوا في الحب والشهادة وظلوا قائمين مدافعين عن سيدهم حتى التحقوا بربهم نفوسهم صافية وقلوبهم خالصة.

ولا بأس بتلخيص فكرة الخطاب الموجز:

١ - انه نعى نفسه ورحب بالموت واعتبره زينة للإنسان كالقلادة التي تزين جيد الفتاة وهذا التشبيه من أروع وأبدع ما جاء في الكلام العربي وأفضل القلائد قلادة الموت في سبيل الله.

٢ - انه اعرب عن شوقه البالغ إلى أسلافه الطاهرين الذين استشهدوا في سبيل الله وقد كان شوقه اليهم كاشتياق يعقوب إلى يوسف حسب ما يقول.

٣ - انه أخبر ان الله تعالى قد اختار له الشهادة الكريمة والميتة الشريفة دفاعاً عن الحق وذوداً عن حياض الإسلام.

٤ - انه اعلن عن البقعة الطيبة التي يسفك على صعيدها دمه الزاكي وهي ما بين النواويس وكربلاء.

٥ - انه أخبر ان الذئاب الكاسرة من جيوش بني أمية لا يقر لهم قرار حتى تمتلئ جسومهم من لحمه الزاكي وهو كناية عن تسلطهم وجورهم على الامة ونهب ثرواتها.

٦ - واخبر ﷺ ان ما يجري عليه من الخطوب والاهوال امر لا محيص عنه فقد خط بقلم القدرة الإلهية وجرى في علم الله من

آدم إلى هذا الوقت بالذات ولا يمكن للحسين تغيير مجاري الأمور والوقوف في وجه إعصار المقادير.

٧ - اعلن ان الله قرن رضاه برضا أهل البيت عليهم السلام وقرن طاعته بطاعتهم وهو الحق لأنهم دعاة إلى دينه وأدلاء على مرضاته.

٨ - انه تحدث عن نزعة كريمة من نزعات أهل البيت عليهم السلام وهي الخلود إلى الصبر والتسليم لأمر الله على ما يجري من عظيم الأمور وأن الله قد أجزل لهم الثواب على هذا الصبر.

٩ - واخبر ان الواقع المشرف لأهل البيت عليهم السلام إنما هو امتداد ذاتي لواقع الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله فهم لحمته وفرعه والفرع لا يختلف عن الأصل وسوف يعودون إلى الأصل في حظيرة القدس لتقر عينا رسول الله بعترته الذين أدوا دورهم بنجاح وهم مخضبون بدماء الشهادة.

١٠ - انه دعا المسلمين إلى خوض معركة الشهادة والنصر والانتصار للحق وان الذي يذهب ويبذل مهجته فيه هو موطن نفسه على لقاء ربه.

ومع كل هذا الوضوح لم يستجب أحد لا من المكيين ولا من الحجيج. نعم ربما جاء البعض مدة من الزمان ثم عاد من حيث أتى لرجحان المعركة العسكرية لخصومه الأمويين وظهور خسران معركة الامام عليه السلام.

لا أرى الموت إلا سعادة

كلما فكرت في هذا النص يصرح فكري فيه طويلا ثم انظر بعد ذلك إلى الإمام من وجهة تفسيره للأمور لامن وجهتنا نحن. لأننا

نرى الموت ألما وعذابا وحزنا وترك الاحبة وتقسيم التركة وهجران الاحباب وتوزيع وتقسيم الاموال وما إلى ذلك .

اما نظرية الإمام للموت فهو لذة وسعادة وحب وغرام وطمأنينة وبعدها وضوح ورؤى صالحة وآمال مشرقة ومستقبل زاهر بكل ما للكلمة من معنى . أي ان الإمام رأى الموت سعادة والحياة شقاوة وكل حياة في ظل دولة الظلم شقاوة مهما كانت اما إذا كانت في دولة يزيد فهي الشقاء الأول والاوحد في هذه الدنيا . من هنا لا بد من تفسير للموت فالحياة في موتكم قاهرين والموت في حياتكم مقهورين .

الإمام كانت تشرق نفسه في وهج المعركة فالناس يرجفون والأعداء يخافون والإمام تهدأ نفسه وتسعد روحه ويكثر ذكره وشكره لربه على هذا التوفيق الذي حصل لأنه سوف ينتقل بعد قليل من عالم الزوال والفناء إلى عالم الخلود والبقاء والمسألة ليست أملا وانما هي حقيقة واضحة يرى المعصوم بإشراقه روحه وطهارته ذاته ووصفاء نفسه .

ومن شدة الصفاء لا يبقى حواجز وموانع بل تزول الحواجز والموانع فهو الآخر في حالة معاينة ومكاشفة يرى نورها وحوورها وجنانها وولدانها وكل نعيمها كما يرى في الجانب الآخر العذاب والشقاء والنار المستعرة واللاهبة المتغيظة المفزعة المرعبة المخيفة التي تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله .

ومع كل هذا الوضوح وعظم السطوع والإشراق الروحية كان يتعامل مع المعركة بشكل طبيعي يعد العدة ويهيء الأمور ويحس أنه رجل لا علاقة له بغير المعركة المادية وكأنه مثل هؤلاء البشر العاديين .

ولا شك ان الحسين عليه السلام أعطى المعركة البعد المادي والتهيئة الكاملة على قلة العدد والناصر وأعطى بعد ذلك بعدها المعنوي عندما مسح بيده على أبصار صحته وربطها ببصائرهم فرأوا جميع ما اعد الله للشهداء بأمر العين بأمر اليقين وعين اليقين وحق اليقين.

وهل بعد اليقين مطلب عندما نزعوا عن نفوسهم أجسامها وأجسادها وملابسها وظهرت الروح بصفائها وخلوصها وإشراقها واقدّموا إقدام الأحرار الأبرار واستماتوا في خوض معركة الوصول إلى هذا اللقاء المحمدي الأخروي الرائع وكانت لهم أفضل النتائج في الدارين ففضّوا شهداء سعداء ووصلوا إلى الأهل والأحبة وجنة المأوى.

ليلة العاشر

قام الإمام الحسين بكل الوسائل التي تمنع الكارثة مع وضوح المعركة عنده وكان عليه ان لا يستسلم للموت ولا للظالمين.

وكان يعلم أيضاً ان أصحابه وأهل بيته درجتهم قريبة من درجته وجوهرهم مشرقة وأرواحهم زاهرة ومضيئة.

ومع كل ذلك اختبرهم ولعلّ اختبارهم كان رحمة بأخته زينب التي كانت تخاف ان يترك أخوها الحسين وحده في ساحة الشهادة واذا صح فزينب كانت بحاجة إلى بعض التوضيحات المعنوية والاشارات النورانية فتعامل سيد الشهداء وفق القواعد العسكرية حيث يجتمع القائد مع قواده الكبار قبل بدء المعركة ويضعون خطة لقتال الأعداء واراد بذلك طمأنينة النسوة جميعهن.

ولما كان الإمام يرى ان الأعداء يطلبونه فلو قتل أول المعركة

لانتتهت المعركة وسلم الآخرون وربما حاول الأعداء اختصار المعركة بهذه الطريقة لحصرها في شخص وتنتهي بدون سفك دماء الجميع وان كان هذا ليس ديدنهم فهم لا يتورعون عن سفك أي دم حرام من الشيخ الكبير حتى الطفل الصغير.

ولكن الأصحاب أبو إلا أن يكونوا وقود المعركة الأهلية ويقدموا أنفسهم في سبيل الله نصرة للحق وللدين الذي يمثله الإمام الحسين عليه السلام وهكذا كان التوجه العام للمعركة ولما تحدث معهم الإمام شوقهم إلى الجنة وبغضهم إلى النار وقال لهم في معرض كلامه اني لا أرى أصحابا خيرا من أصحابي ولا أهل بيت أبر وأوفى من أهل بيتي وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي وتفرقوا في سواد هذا الليل فإن القوم لا يريدون غيري فإذا وجدوني تركوا غيري وكان هذا الكلام صاعقة وقعت على رؤوس الاهل والأصحاب فبكوا كثيرا. وحلقت أرواحهم إلى باريهم واستعادوا شفائهم وخلعوا لباس البدن وبدت شمائل أرواحهما تأخذ شكلها النير وحققها القدسي وتنادوا مجتمعين متعاضدين معك معك حتى الشهادة والجنة شفاعة جدك محمد ﷺ .

كنت أحس في هذه الجلسة ان الملائكة صاعدة نازلة وأن عيبر الجنة يلف هؤلاء وأنهم كانوا ينظرون إلى منازلهم بالجنة فعبروا بكثير من الشوق والوفاء والإخلاص ما يعجز عنه قلم الكاتب وبلاغة الخطيب.

ويا سعادة من حضر شوقا وجلالا وحبا لسيد الشهداء الذي عبر لهؤلاء شاكرًا لهم هذا الوفاء واعدا هؤلاء الأبطال بمرافقته إلى

دار الخلود فهز أعماقهم وسبر أغوارهم فإذا هم رهبان الليل وفرسان النهار وكشف الله على بصائرهم وزادهم بصيرة على بصيرة ونورا على نور فكانوا هياكل نورانية في لباس الناسوتية يركبون خيولهم ويقتلون عدوهم وهم مشاعل نور وسيوف حق ونفوس طهورة.

تجلوا في هذه الليلة بالصلاة والدعاء والركوع والسجود والبكاء والخشوع فهم مع سيدهم ساجدون وأرواحهم عند ربهم صاعدة ويحق القول فيهم أجسادهم في المعركة وأرواحهم متعلقة بالرفيق الأعلى. ولنعم ما قيل فيهم:

سمة العبيد من الخشوع عليهم الله ان ضمتهم الاسحار
فإذا ترجلت الضحى شهدت لهم بيض القواضب انهم أحرار

يوم العاشر من محرم

أحاط العدو الأموي بمنازل آل رسول الله من كل جانب حيث لا يتمكن الطير والوحش من الدخول أو الخروج وهو منظر مخيف للنساء والاطفال وقدر العدد من أربعة آلاف إلى ثلاثين الفا ما بين فارس وراجل.

ورأى الإمام الحسين عليه السلام رؤياه المشرقة أنه مقبل على الشهادة وأن الذين يسفكون دمه اليوم هم فلان وفلان وعبر عنهم بأنه رآهم في صورة كلاب وبينهم كلب أبقع اشد الكلاب لؤما عليه. ورأى بعد ذلك جده النبي صلى الله عليه وآله يقول له يا بني انت شهيد هذه الامة وقد استبشرت بك أهل السموات وأهل الصفيح الأعلى فليكن افطارك عندي الليلة عجل ولا تتأخر رؤيا الإمام وحي ويقين وكشف وربما يكون هذا رؤية بالقلب أو تكون رؤية بالبصر ورؤية القلب

أكثر يقينا من عين الرأس، وعين اليقين أو حق اليقين لا يكون الا بالرؤية القلبية فلا فرق عند أهل الكشف من هذا الجانب لكن أرباب القلوب يرون ما لا نرى وينكشف لديهم وحدهم ويرون ذلك بكل وضوح ونحن معهم ولا نرى شيئا لأن ابصارنا وبصائرنا غير مجهزة لذلك فالغشاوة الموضوعية علينا من الشهوات والتشوهات والانحرافات والآثام والمعاصي تمنعنا من رؤية الواقع والحق ويبقى الإمام صاحب البصيرة النافذة والقلب الطاهر والنفس الصالحة الشفافة هو الذي يمارس هذه الأمور يقينا.

وعندما ذكر لهم الرؤية جارا هم ولا يريد فتنتهم في هذا الامر ولما أخبرهم بذلك استعدوا واستعد المعسكر القليل العدد طوعا وتأهبوا بنفوس صافية إلى لقاء الله وأحسن لقاء لقاء الشهادة وما ظهر منهم ومن سيدهم بعد من الاعاجيب وهو حقيقة كذلك.

١ - امر الإمام بفسطاط فضرب له وأتى بجفنة فيها مسك كما أتى بالحنوط فدخل الإمام فتنطيط وتحنط ولبس الكفن ولبس بعده أصحابه اولهم برير استعدادا للشهادة.

٢ - أيضا خففوا عن أبدانهم ما يرهقها فأزالوا شعر العانة بالطلاي والنورة ويدهشك وانت تقرأ هذه المقاطع كيف يتسنى لمحاصر الالتفات إلى مثل هذه الأمور من المستحبات والاحتياطات وكانوا يتصرفون كأنهم ذاهبون إلى عرس الشهادة الحقيقية وهم كذلك ولولا رؤيا حق اليقين لما كانوا كذلك. ونقل عن برير بن خضير أنه كان واقفا مع عبد الرحمن الانصاري يلزم دوره للتطيط فبدأ برير يمازح ويضحك عبد الرحمن فقال له يا برير أهذه ساعة باطل وكأن برير كان أكثر إشراقا من زميله الانصاري ولا شك ان

أصحاب الحسين يتفاوتون في درجات الإشراف والمعرفة. فأجابه لقد علم قومي بأني ما عرفت الباطل كهلا ولا شابا وإنما أرى ببصيرتي الجنة وما فيها من الحور العين وهم بانتظارنا ولا يمنعنا من الوصول الا هذه الاجساد إن هي الا ساعة نميل على هؤلاء القوم بأسيا فنفقتل فنطير إلى الجنة. أي إشراقه من روح شفافة هذه الإشراقه، أي بصيرة انفذ من هذه البصيرة.

٣ - خندق الإمام حول الخيام حتى لا يقفز أحد بخيله إلى معسكر النساء ولتكون المعركة من جانب واحد.

٤ - وجه الإمام احتجاجه الاخير حيث انتهز فرصة وجود هذه الكثرة من جيوش الضلال وفيهم من كاتبه ليركز فيهم إعلاما حقيقيا صادقا وليبين لهم ضلالهم وغيبهم ويكشف لهم ضلال بني امية.

فلبس بردة رسول الله ﷺ ثم تعمم بعمامته ثم ركب فرسه السحاب ثم ارتدى برده التي كان يلبسها في الجمع والاعياد وبرز بهيبته كأنه رسول الله ﷺ خلقا وخلقوا والمقصود من هذا ان يريهم انهم ان كانوا مسلمين يشهدون الشهادتين فهذا صاحب الشهادة الثانية وذريته حقا.

ثم خطب خطابه الشهير وعظهم وذكرهم وقال لهم ايها الناس انسبوني من انا ثم ارجعوا إلى أنفسكم وحاسبوها هل يحل لكم قتلي أو يجب عليكم محاصرتي ثم عدد جده وامه وعمه جعفر الطيار وما قيل فيه وفي أخيه الحسن عليه السلام من الصفات والنعوت وانهما سيدا شباب أهل الجنة. ثم اشار إلى بعض جيل الصحابة الموجودين وقال لهم سلوهم يخبروكم بحقيقة ما اقول ولما كانت نفوس القوم غير قابلة للحق ورين قلوبهم كثيف من كثرة المعاصي وأكل الحرام

لم تنفذ اشعة نوره على حداثها سماكة هذا الرين وهذه البلاطة السميكة من الشهوات.

فتصور بربك بأن اشعة أنوار الحسين ما قابلت أحداً إلا ونفذت إلى قلبه وروحه وجذبتة إلى الإمام وأصبح من أصحابه إلا هؤلاء الذين شربوا الخمر ومارسوا الزنا واللواط وأكلوا المال الحرام وسفكوا الدم الحرام ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ وهنا توقف صوت الحسين عليه السلام لسمع جوابا فلم يسمع الا رنين النذالة، انزل على حكم الامير! ويتنفض ابن امير المؤمنين وابن قتال الاقران والشجعان ويرسلها كلمة ملء عين الزمن دلالة على العنفوان والصلابة في وجه العتاة الطغاة.

«لا اعطيكم بيدي اعطاء الذليل ولا افر فرار العبيد».

تزول الممالك وتزول الدول وتبقى هذه كلمات الخوالد ويبقى الموقف الحسيني الشامخ ويبقى سيد الشهداء القدوة في كل شيء في الموقف والموعظة والمجابهة والمنازلة كما هو في البيان والمحراب والعلوم سيد الشهداء بلا منازع وسيد البلاغة بلا منازع وصاحب اليقين والإشراق والالهام والكشف ومنه وعنه تؤخذ كل العلوم وأرباب الكشف وأصحاب القلوب إليه يلجأون ومن نبعه يشربون.

نور الشهادة

يستعد المعسكران لحسم المعركة وينتظر سعيد بن عبد الله الحنفي إلى النزول فيقول يا ابن رسول الله هذا آخر ساعة لي في هذه الدنيا وأحب ان اودع الدنيا بصلاة الجماعة معك وينظر الحسين عليه السلام إلى الافق يقول له: ذكرت الصلاة جعلك الله من

المصلين الذاكرين نعم هذا أول وقتها وتبدأ صلاة الجماعة وينبري سعيد ليكون حاجزا بين الإمام وبين السهام وتتكاثر السهام على سعيد ويقي سيدة بنفسه فيخر صريعا بين يديه ويخاطبه يا ابن رسول الله هل وفيت تأمله ما اطيب هذا النفس وما أظهر هذا الموقف وما أحلى هذه الرقة هل وفيت؟ فيجيبه روي فداه نعم انت أمامي في الجنة ما هؤلاء الاوفياء هل هؤلاء بشر أم ملائكة أهم آدميون انسيون أم ملائكة معصومون لو رأيانهم نحن ببصرنا لقلنا ما هؤلاء بشرا ان هم الا ملائكة مكرمون.

واترعت نفوسهم بكؤس الرضا والمحبة والمعرفة وملئت نفوسهم بالرضا اليقين ولا ريب فنفس الحسين عليه السلام إذا صدر ووجد اوعية طاهرة يصنع الاعاجيب الا قاتل الله جيوش بني أمية وحظهم البائس حيث ما استطاعوا ان يغترفوا نقطة من بحر معارف الحسين عليه السلام ولا إشراقه من شمس نواره المتدفقة المتألثة.

واستمرت الملحمة شهيدا أثر شهيد واثيرا بعد قريب وامينا وصديقا وشهديا والملائكة تتجمع في اعراس الشهادة وتتأهب الحور العين وتزين الجنان والملا الأعلى لملاقاة سيد الشهداء وصحبه.

ويتساقط الركب والأهل والاخوة ويرتفعون جلالا ونفاسة وحماسة وجهادا يقدمهم نور الحسين والعباس وعلي الأكبر وتحوطهم ملائكة غر ويظللهم رضوان من ربهم ورحمة وروح وريحان واما من كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين واما من كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما من كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم ان هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم.

وأما عنفوان الحسين عليه السلام الوحيد، والغريب، يتصلب العدو المزهو بعدة السلاح وعدد الرجال والخيل ولا تكافؤ في المعركة ماديا .

ولقد صدرت من الإمام محاولات مذهلة ومدهشة ومخيفة أحقا هذا رجل من لحم ودم أم هذا من عالم آخر .

١ - عبر عنه بعض من شهد المعركة ما رأيت مكتورا أي مغلوبا قط قتل ولده وأصحابه وأهل بيته اشد منه إقداما وأكثر مراسا وأربط منه جأشا وحتى ان الجميع يهجمون عليه فيشد عليهم بسيفه فينهزمون بين يديه انهزام المعزى إذا شد فيها الذئب .

٢ - كان يحمل الشهداء وخصوصاً شهداء آل بيته ليجمعهم جميعا في مكان واحد .

٣ - يصير النساء والاطفال ذوات الرقة والدمعة ويبقى على ما هو عليه من رباطة الجأش وهول المعركة يستعر .

٤ - يقتل ولده بين يديه وهذا موقف يكسر فقار الظهر فيتأسى ويجعل ذلك قدوة للأزمان والأجيال .

٥ - يقتل أخوه العباس وهو حامل الراية ويظهر انكسار العسكر لأن العباس كان شامخا ماردا لا يستطيع أحد أن يتقدم نحو المعسكر لفروسية العباس ويزداد الإمام الحسين إشراقة ووضوحا ويزداد بصيرة في لقيه لجده وخلوص روحه من جسده والتحاقه بالرفيق الاعلى .

٦ - وأخيراً يأخذ ولده الرضيع يعرضه على القوم، يا قوم أما فيكم مسلم ماذنب هذا الرضيع وهكذا يقلبه من جهة إلى أخرى حتى

يختلف القوم على سقي الماء وبدأ الكلام يعلو في معسكر الأعداء .
حتى عبر عن هذه الحال رجل الماني بأن هذه الخطة المحيرة كيف
خطرت ببال الحسين عليه السلام في هذه الساعة المتأخرة حتى أدهش
العقول وما هذه القدرة في المناورة السياسية والاعلامية حقا انه إمام
ابن إمام معصوم كشف الله عن بصيرته فرأى من آيات ربه ما رأى
ورأى جده وأباه وأمه وأخاه والانبياء والمرسلين والأولياء
والصالحين والا فالوقت لا يسمح بمثل هذه الأمور أبدا ولكن
الحسين اعجوبة الدنيا وقدوة الأجيال .

٧ - ثم يوصي الإمام السجاد بوصاياہ ويعلمه عن كل شيء
ويوصي زينب أن تكمل المسيرة وتلهب العاطفة وتقوض دعائم دولة
بني امية .

٨ - ثم اقبل على المعركة بكل بشاشة ونور وإشراق وطمأنينة
يقتل فيهم العشرات فيهربون ويفرون بين يديه .

ولما رأى الطاغوت أحكم طوقه	وخطط ان ينفى ويستعبد الحر
نضا السيف من هول المعارك بارقا	وحاول حتى ملة الكر لا الفر
غدا والقنا آجام غيل تجمعت	ومن خلفها للجور عسكره المجر
فما راعه زحف ولا خاف والقنا	انابيه من نازف الدم تحمر
وصال عليهم صولة هاشمية	لشدتها الشوس البهاليل تزور
ومن كره فر المغاوير في الوغى	فطعنته فتك وضربته بكر
كأن عليا يوم بدر وخيبر	يعود إلى الدنيا ورائده النصر
وظل على تلك السمات وعزمه	يشق الليالي والليالي لها ستر
الى ان قضى والمجد ملء ردائه	تجله البيض الصوارم والسمر

فيا أرض ميدي يا سماء تدكدكي وانت فلا تشرق على الناس يا فجر^(١)

فرس الحسين

هل الحب والوفاء في الإنسان فقط أو ان هذه الصفات والأخلاقيات تتعدى إلى الحيوان. ومنذ بدأ الإنسان بتدجين الحيوان حتى أصبح أليفاً له صارت هناك فلسفة خاصة في علاقة الإنسان بالحيوان وينقل عن بعض شعراء الجاهلية قوله:

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى وصوت إنسان فكدت اطيرو
ومن هنا تغلب الإنسان بذكائه على الجمل والسبع والذئب
والحيات فضلاً عن الحيوانات الأخرى التي طبعها لمصلحته الكلب
والفرس وأعلام الأجناس وهذا بحث يطول شرحه والمهم هنا هل
أن فرس الحسين كانت بهذه القدرة والالهام حتى تتصرف تصرف
الإنسان الذكي والالاعي.

وربما يكون ما ذكره عن فرس الحسين صحيحاً جداً ولا مانع
منه لا من ناحية عقلية ولا من ناحية طبيعية وتربوية ونحن نرى اليوم
الكلاب المعلمة على الصيد واكتشاف الجرائم وشم روائح
المخدرات واكتشاف كثير من المعقدات.

كما نرى الدب والجمل والفيل والاسد وغيرها تتكيف وفق
رياضة وتدريب طويل.

وقد كانوا يعلمون الفرس الأصيل الانحناء والركوع في المعركة

(١) من قصيدة للمؤلف أهداها لخطباء المنبر الحسيني، الهاشميات ص ٨٦.

أو الاستعلاء لجهة العلو حتى يتمكن صاحبه من الوصول لخصمه العالي وهي اشارات ذكية يفهمها الحصان والفرس وحتى الدواب الاخرى .

ونقلوا عن الإمام علي بن الحسين لم يضرب ناقته طيلة حياته لأنها كانت تعرف طريق الحج بمهارة فائقة وهكذا .

وما ذكره أصحاب المقاتل عن فرس الحسين لا يعدو أن يكون مألوفاً جداً حيث فهم الحصان بعد وقوع الحسين عليه السلام عنه أنه مات خصوصاً وأنه كان فترة واقفاً إلى جانبه وعيناه تسيلان لهول المأساة وهنا دلته غريزته أن يقوم فيمرغ ناصيته بدم الحسين عليه السلام ويذهب محمماً إلى مجمع نساء الحسين عليه السلام واخواته وبناته وفعلاً قام بهذا العمل على مرأى كثير من الجيش الأموي الذين رأوه يقوم بهذه المهمة فتسمروا مكانهم لهذه المشاهدة الرائعة وعندما بدأ الدم الحسيني يلمع في ضوء الشمس على ناحيته ذهب مسرعاً إلى مخيم النساء وهو يكدم ويحمحم ولكن صوته هذه المرة كان عليه علامة الانكسار فخرجت بنات الرسالة فشاهدن السرج خالياً من راکبه وفي الخبر عن أهل البيت عليهم السلام أنه كان ينادي الظليمة الظليمة من أمة قتلت ابن بنت نبيها

وورد في الزيارة المعروفة بزيارة الناحية يعني زيارة الحجة «عجل الله تعالى فرجه» فلما نظرن النساء إلى الجواد مخزياً والسرج عليه ملوياً خرجن من الخدور ناشرات الشعور على الخدود لاطمات وللوجوه سافرات بالعويل داعيات وبعد العز مذلات والى مصرع الحسين مبادرات .

وذهل الجيش الأموي لهول ما رأى وخصوصاً أن بنات الرسالة

خرجن في حالة ندب مشجية تحرقت فيها القلوب وسالت الدموع وعظم المصاب حتى جرت دموع العصابة المأجورة والعميلة للطاغية ابن زياد.

وكان الإمام الحسين روعي فداه قد علم انه سيسلب فلبس ثياباً تحت ثيابه ومزقها حتى لا يسلبها. من لي بعلمك أيها الإمام من ذا يضاهيك من ذلك على هذه المعارف هل جاءت من الكسب والاستذة أم جاءت من السماء في اللوح المحفوظ منذ القدم عندما قلت لا محيص عن يوم خط بالقلم هذا ما صاغه قلم القدرة، وقلم القدرة ليس متغيراً وقدر الله ان يسقط أعز الخلق عنده مضرراً بدم الشهادة ليرفع قدره ويأخذ درجته النورانية مع جده ويأتي من بعده يأخذ بثاره من أولئك المناجيس حتى يقوضوا حكومة الباطل يزيد وبني امية.

العباس

كان العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام طويل القامة وسيم المنظر كأن وجهه فلقة قمر وكان مع ذلك شديد البأس إذا احتدم النزاع قويا شجاعا كأبيه علي وكان من الوفاء على جانب عظيم. وكما ذكر في قصة زواج الإمام علي عليه السلام من فاطمة بنت حزام الكلابية أم العباس أنه تزوجها لتلد له غلاما فارسا شجاعا.

يعني هذا الزواج كان مقدمة لنصرة الحسين عليه السلام ولما كان يوم العاشر من المحرم ظهرت شجاعة العباس عليه السلام ووفاءه لأخيه الحسين على اكمل وجه ولم يعرف قبل هذا اليوم رغم ان العباس كان قد بلغ أربعاً وثلاثين سنة الا ان التاريخ كان قد أسبل ذيله على

هذا العمر ولم يذكر له الا هذه الوقفة وهي وقفة كافية لأي إنسان إذا وقفها ان يعد من صناع التاريخ أو من حماة الدين .

ومما ذكره المؤرخون ان العباس عليه السلام كان له علاقة شديدة بأخته العقيلة زينب ولعل علاقته في شأن العقيلة هي التي ألزمتها خدمتها الدائمة لصيانتها وحققها عليه . ومن وفاء العباس عليه السلام أنه عند هجم يوم العاشر على الجيش الأموي كشفهم عن المشرعة ثم مد يده ليشرب فتذكر عطش أخيه الحسين عليه السلام فرمى الماء من يده ووقيل ان البعض سمعه ينشد هذين البيتين من الشعر

يا نفس من بعد الحسين هوني وبعده لا كنت أو تكوني
أشربين بارد المعين تالله ما هذا وهذا ديني

وسواء صح عنه هذا النظم المرتجز في المعركة أو لم يصح فهذا لسان حال العباس عليه السلام على ان هذا الشعر ليس له أهمية كشعر الا لأنه تعبير صحيح عن الوفاء والولاء لسيد الشهداء وأما رمي الماء من يده ففيه من الإيثار والتربية والتعليم ما لا يمكننا إدراك سره لأن عطشه يوجب عليه شرب الماء خصوصاً وأنه في هاجرة الصيف وهو بحاجة شديدة وملحة لشربه أو شفة أو جرعة تبلل شفثيه فضلاً عن ريقه فتركه الماء صبراً حتى يشرب الحسين لأنه لا يريد الشرب قبله والواضح ان وصول الماء إلى الحسين غير واضح لمنع الأعداء والحصار كثيف فكيف ترك الماء في اشد الحاجة إليه وهذا لا يضير الحسين أبداً بل ينفعه لأن العباس إذا قوي واسترد شيئاً من قوته حتماً سيستفيد الحسين عليه السلام من هذه القوة وإذا صح هذا الموقف وهو مكتوب عند الجميع ومأخوذ أخذ المسلمين لا بد ان تغزو هذا اللون من الوفاء لهذه

الاسرة النبيلة خاصة إذ ان مثل هذه الاريحية غير موجودة حتى في بيوتات الشرف الكبرى عبر العصور. والذي أراه ان الإمام امير المؤمنين الذي اوصى سيد الشهداء بالحفاظ على القيم الكبرى والفناء في سبيلها اوصى ولده العباس عليه السلام بإطاعة الحسين عليه السلام والحدب على زينب لم سيكون من روائع قصة الحسين والمهمات التي ستضطلع فيها زينب بعد الحسين عليه السلام ولعل كثيرا من التفاصيل ذكرها الإمام لولده العباس فحفظها واتقن الحفاظ عليها حتى يكون العباس ملاكا في صورة إنسان ويبرز بعد ذلك عظمة الإمام الحسين ووجاهته عند الله وعند أخوته ايضاً.

وبهذا نصل إلى سر من أسرار المعركة غير واضح لدينا تفاصيله وما فعله العباس فوق الوفاء لأن الوفاء لا يتأثر أبدا بشربة ماء تقوية على دعم الحسين والدفاع ولكن النبل والاريحية والوفاء وقل كشف الحقائق للإنسان المؤمن يجعله يجترح المعجزات ولا غرو فالعباس ابن القوى الروحية والكشف والمعارف الحقيقية ووراثه ومعانات يومية وآنية حتى تتجلى شخصية العباس ولها كل هذا الجلال والحب ولها هذه الوجاهة وأنه أصبح باب الحوائج لشيعة أخيه الحسين عليه السلام ولولا الإمامة المنصوص فيها على غير العباس لكان العباس عليه السلام واحد من أئمة الهدى وهو الآن واحد منهم بلا نص وهو مؤهل في علمه وشجاعته ومواقفه لكل هذا الكمال ولولا ان يكون العباس قد وصل إلى درجة اليقين عند الله لما كان له هذه الوجاهة التي تنافس وجاهة الحسين عليه السلام عند كثير من الناس ولولا علم العلماء وهداية الخطباء لظن الناس ان العباس مع الحسين عليه السلام وأنه سيد شباب أهل الجنة وأنه لا أحد قادر للوصول إلى هذه

المراتب ولكن العباس يأتي بالدرجة الثانية حتما بعد أئمة الهدى عليهم السلام .

علي الأكبر

ذكر المؤرخون ان الإمام الحسين عليه السلام في رحلته من مكة إلى كربلاء أصابه نعاس وهو راكب على فرسه فأخفق خفقة ثم انتبه وهو يقول انا لله وانا إليه راجعون وكان الأكبر قريباً منه فسمعه فقال الأكبر: «أبتاه اولسنا على الحق، فقال عليه السلام أي والذي إليه مرجع العباد إننا على الحق فقال علي الأكبر: إذا لا نبالي ان نموت محقين». إذا كان ابن العشرين من العمر يملك هذا اليقين وهذا التمسك بالحق فما ظنك بأسرة كاملة اختارها الله معلم هداية للبشرية كلها.

وقالوا ان عليا الأكبر كان يشبه جده النبي محمد ﷺ خلقا وخلقا واذا أراد الناس ان ينظروا إلى رسول الله كانوا ينظرون إلى علي بن الحسين وكان الإمام الحسين عليه السلام يردد كنا إذا اشتقنا إلى رسول الله ﷺ نظرنا إلى وجه علي.

وكان علي هو الوجيه والمحبيب عند أبيه لعلم أبيه الحسين بما سيحدث له في حياة أبيه وذكروا ان عليا لم يطلب حاجة من أبيه الا وقضاها له.

وذكروا ان عليا كان على جانب كبير من الكرم والشجاعة. ولا غرابة ان يكون كجده علي عليه السلام الذي قال جنونان لا خلاني الله منهما - الشجاعة والكرم. وذكروا أنه كان له ديوان وضيوف وشعراء تمدحه وهو يجود على الجميع ويستمتع للجميع وكان وردة الحي وروض المجتمع يأنس الجميع بظله وصباحة وجهه.

ولما كان يوم العاشر من المحرم نقلوا عنه من الصبر
والشجاعة ما لا يوجد الا في أبيه الحسين عليه السلام والحديث هنا ليس
له علاقة بترجمة حياته ففي كتب المقاتل ما يكفي لذلك وقد ابدع
الشعراء في وصفه بما يليق بحق الفتى العلوي الغض.

لا يهمني الآن ابداء شجاعته وان كان الأكبر وارث الايد
والشجاعة من أبيه وجده ولكن الذي نحن في صددده هي إشراقته
علي في وسط المعمعان.

ما ذكره المؤرخون عن الإمام الحسين عليه السلام انه كلما احتدم
النزاع وحمي الوطيس يزداد وجهه جمالا ونورا هذا الكلام عينه
ينطبق على علي الأكبر حينما نزل إلى ساحة المعركة وأنه كان علي
يقين وكشف وإشراق ولذلك كان يدخل إلى عمق الرجالة والخيالة
فيفتك فيهم ثم يعود وهو في اشد حالات الظمأ والعطش.

وما نسمعه من أرباب المقاتل انه كان ينادي ابتاه العطش كان
يريد إسماع هذا إلى المستقبل لأن ترديد هذه الكلمات بعد الواقعة
تجدد المأساة وتثير الحمية والارحية في الامة وتحركها للدفاع عن
المظلومية الكبرى لأهل البيت الذين غصبوا حقوقهم الإلهية واغتصبها
بعد ذلك غلظة أمويون اولهم يزيد بن معاوية وهذا من أكبر الكوارث
الإنسانية على الاطلاق.

والا فعلي الأكبر أكبر من كل الاوجاع والعطش والآلام ولو
لم يكن من أهل الإشراق والحق واليقين لما أمكنه من الوقوف
الصعب إمام جيش جرار ولجب ولكن اليقين بالحق والرضا بمقادير
الله هو الذي جعله ساكنا مطمئنا إمام ما يجري في كربلاء من مجازر
ومن كوارث.

وقد نقل المؤرخون أنه كان في وسط المعركة راضيا مطمئنا عارفا بالمعركة السامية وأهدافها ونتائجها ومن هنا خلد إلى الحق وذهب مطمئنا يردد مقالة جده علي بن أبي طالب فزت ورب الكعبة لقد فاز علي الأول والجد في محراب الشهادة في الكوفة وفاز علي الأكبر في محراب الشهادة في كربلاء وفوزهما واحد ونتائجها واحدة.

وكيف يفوز علي امير المؤمنين ولم يحقق أهدافه في استئصال الداء السرطاني الخبيث لو لم يكن على يقين من أداء الدور الإسلامي والقيادي كاملاً حتى يتحقق بذلك ان يصل إلى ربه بهذه الطمأنينة وعلي الأكبر الذي اقتفى أثر أبيه وجده علي ركز يوم العاشر في أرجوزته العسكرية المعتادة في ذلك الزمن فقال أنا علي بن الحسين بن علي نحن وبيت الله اولى بالنبي تالله لا يحكم فينا ابن الدعي

أي رجز هذا الذي لا يزال يتردد منذ مئات السنين الذي يقدم مبدأه وأهدافه في المعركة أنه حفيد علي وولد الحسين وأنهم السلالة الطاهرة التي اختارها الله لحكم العباد وسياسة البلاد ولا يجوز لهم ترك القيادة ليحكم يزيد وابن الدعي عبيد الله بن زياد كلاب الصيد وخنازير السواد.

وهو يدل على وعي سياسي تام وخبرة قيادية من سلالة تاريخية ان الحكومة لأهلها وهم أهلها وبنو أمية أدعياء وليس للأدعياء الدخلاء اية علاقة بقيادة الامة.

طببت ايها السعيد الشهيد وطاب مثواك وترابك ومنطقك السديد المرجب.

أصحاب الحسين

الحديث عن أصحاب الحسين فردا فردا يحتاج إلى كتاب خاص حيث موضوع الإشراق جزء منه لكنني سوف أختصر الحديث على مجموعة قليلة من هذه الثلة المباركة وبالطبع سأقفز عاليا وأترك كثيرا من الهاشميين ولو كانوا من أصحاب الحسين أيضاً لأنهم غير معنيين بالحديث والمقصود الآن امثال زهير بن القين وحبیب بن مظاهر ومسلم بن عوسجة والحر بن يزيد الرياحي وبرير بن خضير الهمداني وعمر بن جنادة الانصاري وجون مولي أبي ذر الغفاري.

زهير:

قصة زهير وعثمانيته مشهورة عند كتاب التاريخ وقد جاء من الحج مع رفقة فصادفوا سير الحسين عليه السلام وكرهوا لقاءه لعلمهم رأوه ذاهبا إلى الموت. وقد سجل التاريخ لزهير موقفين عظيمين.

الأول: انه عندما نزل موقعا لا بد منه إلى جانب الماء وكانوا قريبين من الحسين عليه السلام وأصحابه وايضا نزول الإمام الحسين عليه السلام بذلك المكان لا بد منه. ويسأل الإمام عن المجموعة النازلة فيجيب هؤلاء قوم كانوا في الحج وهم راجعون إلى بلادهم فيسأل عن الاسماء فيذكرون اسم زهير وزهير كان رجلاً معروفاً بالكوفة.

استغل الإمام فرصة راحتهم وقت تناول الطعام فبعث غلامه يستدعي بأدب حضور زهير إلى الإمام وكان في ذاكرة الحسين ان زهيرا من أصحابه ولما وصل الغلام سلم عليه وقال لزهير ان الحسين بن علي بن فاطمة يدعوك فلما سمع زهير ورفاقه سكتوا كأن على رؤوسهم الطير وتركوا الطعام مبهوتين محيرين ولم يرد جوابا.

وسمعت زوجة زهير وهي في خيمتها قصة السكوت فقالت يا زهير أبيعث خلفك الحسين بن علي بن فاطمة ولا تذهب أما تستحي من جده رسول الله وأمه فاطمة لو سألاك يوم القيامة عن الحسين عليه السلام وكأنها قرعته بالمقاريع والتفت إلى واجبه وأدبه مع سيده الحسين عليه السلام وقام إلى أحسن ثوب معه فلبسه وتوضأ ثم ذهب إلى الحسين عليه السلام معتذرا عن التقصير وبعد فترة قصيرة عاد إلى مخيمه مودعا لهم شاكرا لهم صحبتهم فسألوا ما شأنك؟ قال ذكرني الحسين عليه السلام بحديث سلمان الفارسي وقالوا وما هو؟ قال: اعلّموا عندما غزونا بلنجر وهي مدينة في بلاد الترك فتحنا البلاد وأسرنّا وغنمنا أموالا جزيلة وكان سلمان المعروف بزهدة فقال لنا افرحتم لهذا النصر قالوا نعم: قال لي يا زهير إذ أدركت سيد شباب أهل الجنة في آخر أيامك ودعاك للجهاد بين يديه فكن اشد فرحا في الجهاد بين يديه من هذه الغنائم وفعلا بعث زوجته المؤمنة إلى أهلها وأعطاهما مالها من حقوق وتسامحا وطالبته بشيء واحد وهو أن يشفع لها عند سيدة النساء أم الحسين يوم القيامة حتى تكون معهم في الجنة فوفى لها.

وأصبح زهير من خواص أصحاب الحسين عليه السلام وبسرعة تحولت أفكار الرجل وتبعت ثقافته ثقافة الجو الثوري الجديد ومسح بيده التي صافح الإمام على كل الرواسب العثمانية والأموية وعاد رجلا آخر شكلا ومضمونا. ونزل يوم العاشر وهو جذل طرب يستأذن الإمام للبراز وبرز كأنه أسد فلما انتسب برجزه تحاموه لعلمهم بشجاعته وقال:

أنا زهير وأنا ابن القين أذودكم بالسيف عن حسين

وخاطب الإمام الحسين بقوله اقدم حسين هاديا مهديا فالיום
ألقى جدك النبيا وحسنا والمرضى عليا وذا الجناحين الفتى الكميا
واسد الله الشهيد الحي ودافع عن الخط الحسيني والمبدأ المحمدي
وعن آل بيت العصمة دفاع المستميت كأنه ينظر إلى الجنة والنار من
موقعه القتالي وكان الحق رائده والدين قائده والحسين إمامه واليقين
طريقه والله هدفه وغايته .

ويكفي في وداعه وتأيينه قول الإمام الحسين عليه السلام لا يبعدنك
الله يا زهير ولعن قاتليك لعن الذين مسخوا قردة وخنازير .
ومن هذا التأبين الموجز يعرف زهير وقدره عند سيد الشهداء
الذي لا يعرف المجاملة حتى في أخرج الأوقات وأدقها .

عابس بن شاکر الشبيبي البطل الثائر:

مجنون من مجانين الله التحق بكرباء فكان له شرف عريق
فازداد عراقه وكان الكوفيون يعرفونه بشدة الباس وقوة الزند وتسديد
الرمي وحنكة الطعن وقوة الضرب . طوله كأنه المارد وزند كأنه
الحديد وقلب أقسى من الفولاذ وحب الحسين يتعاضم في قلبه
وروحه .

وكان عابس من أسرة عريقة وصبيحة حتى اطلق عليهم : فتیان
الصباح وهم أيضاً شجعان العرب ولشدة شجاعتهم يهرب الشجعان
من ملاقاتهم .

ولما رأى عابس ما ألم بالحسين من محن وخطوب وآلام
وبدأت المعركة لاستئصال أهل بيت النبوة وصمم بعد يقين أنه
سيشهد حملة شعواء فنزل وحده للمعركة ودعاهم للبراز فلما سمعوا
باسم عابس تراجعوا .

ومشى عابس وحده يخطر على فرس الموت فلم يجبه أحد
عندئذ نزل عن فرسه وعقرها فقبل له يا عابس تعقر الفرس في وسط
المعركة أجننت قال نعم حب الحسين أجنتي وهكذا صار مجنونا في
حب الحسين عندما لاحت الجنة وحورها وغلمانها وصار على يقين
من امره بأنه راحل اليها بعد خلع ثوبه الوسخ واستبدال هذا الثوب
بثوب من سندس الجنة الذي سيلبسه حالا والحوار العين تنتظره لحظة
بلحظة.

نعم هذا هو الجنون وأفضل العقلاء هو الذي يجن في الحسين
ويجن في حب الله وآل بيت رسول الله.

الحر الرياحي:

كان الحر بن يزيد الرياحي من أبطال الكوفة المعدودين بألف
فارس وقد ولاه عمر بن سعد كتيبة قوامها ألف فارس واستقبل
الحسين عليه السلام في الصحراء ومنعه من الرجوع أو الذهاب إلى مكان
آخر غير كربلاء.

وشاهد في هذه الرحلة الشاقة نفسيا وجسديا من أخلاق
الحسين عليه السلام خصوصاً وأنهم جاؤوا إلى محاربته فسقاهم عن آخرهم
وصارح الحسين الحر لعلمه بأنه سينتقل إلى طريق الحق بعد قليل
ولما جاء وقت الصلاة صلى خلف الحسين جماعة ومعه صحبه
جميعا.

ولما خطب الإمام الحسين عليه السلام خطبته الشهيرة وأوضح الرشد
من الغي وكان بشكله وزيه ومنطقه كأنه رسول الله ﷺ لمعت في
حنايا الحر لمعة الحق واشرقت روحه الجياشة وذهب إلى عمر وهو

شاك بالسلاح قائلاً أي عمر. أمقاتل أنت هذا الرجل قال عمر بن سعد أي والله قتل ايسره أن تطير الايدي وتطيح الرؤوس فأجابه أما يكفي ما عرضه عليكم من أخلاق وتوضيحات فأجابه جواب الخاضعين الأذلاء إمام بن زياد لو كان الامر بيدي لقبلت شروطه ولكن الامير الذي ولاني لا يقبل ذلك وهنا بدأت الإشراقة تزداد لمعانا حتى بدأ الصراع يدب في نفسه ولكثرة الصراع النفسي وقوته بدأ يرجف كالسعفة في مهب الريح لأن العاصفة النفسية كانت اشد من الرياح العاتية فهل يقاتل الحسين ويكون خصمه يوم القيامة النبي محمد وعلي وفاطمة هذا ما لا يكون وهنا نقلوا عنه حالة تشبه المجانين عندما مال بفرسه إلى المشرعة وكان المهاجر بن اوس قريباً منه ورآه على تلك الحالة المرعبة فاستغرب ولم يعرف عنه هذه الإشراقات التي تهز النفوس الكبيرة فقال مالك يا ابن يزيد أنت تخاف من الحرب والله لو قيل لي من اشجع أهل الكوفة لما عدوتك وهنا نطق الحق الصراح على لسانه ويليک اني أخير نفسي بين الجنة والنار فوالله لا أختار على الجنة شيئاً ثم سقى فرسه وتوجه والنور يملأ قلبه والرضا يملأ كيانه وتوجه نحو معسكر الحسين ﷺ مطأطئاً رأسه من الحياء معتذراً قائلاً اللهم إليك أنيب فقد أرعبت قلوب أوليائك وآل بيت نبيك ثم صاح يا ابن رسول الله هل لي من توبة؟ فأجابه الحسين ﷺ : بلى ان تبت تاب الله عليك وهنا أشرقت سريرته فملأت صفحات وجهه.

ولما اطمأنت نفسه بقبول توبته كان همه الوحيد بعد عملية الإشراق الطافحة على وجهه ان ينبه أهل الكوفة لعلمهم يعودون عن سوء الاختيار ويتوبون إلى ربهم ثم ينضمون إلى معسكر سيد

الشهداء ليدافعوا عنه وعن القيم السماوية التي يحملها واستأذن الإمام الحسين لتذكر الناس بالحق فسمح له الإمام فركب راحلته ثم وعظهم موعظة بليغة وتعجب الناس من رجل لم يكن له تاريخ يمثل هذه المواقف ولأول مرة تتفجر ينابيع الحكمة من قلبه وينطلق بها لسانه لأول مرة يقف البطل المحارب ليقدم للناس موعظة عملية ويدلهم على طريقته التي أعادته إلى ربه وأوصلته إلى لب القضية وأكبر القضايا هي قضية الامة. والامة محصور قيادتها بالإمام الحسين عليه السلام العبد المعصوم والقائد العالم الحافظ للكتاب الراعي للحرمان المحافظ على الكرامات الواهب في المكرمات.

ولأنهم كانوا قد تعودوا على المعصية وامتألت بطونهم من الحرام لم تحرق المواعظ آذان أجسادهم لتصل إلى مسامع قلوبهم فالغشاء السميك من بخار المعصية جعل آذانهم صماء والسننهم بكماء ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ فعاد بعدها إلى موعظة هي الأهم حيث تكللت الروح وباحت السريرة بما تلتقطه من معلومات فغير الاتجاه وصوب البوصلة ومشى نحو الهدف يردد.

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب وفاجأ الحر جموع اليزيديين بهذا التحول وهي تذكرة لمن كان يعي ذلك ذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد وتحول الحر بطل الشهامة والكرامة بطل الدفاع عن الحق والعدل وعن أهل الحق بطل المروءات والكرامات والنبيل والاربيحيات وعبر عن حريته بقوله:

إنني أنا الحر ومأوى الضيف أضرب في اعناقكم بالسيف
عن خير من حل بلاد الخيف اضربكم ولا أرى من حيف

رَجَزَ رَجْزاً عَبرَ فيه عن حرّيته وكرمه وقوته وشجاعته وأنه يضربهم ولا يرى إثمًا في ضربهم وقتلهم لأنه يدافع عن مكة ومنى وعرفات ومسجد الخيف والمأزمين وأنه يرمي في الجمرات وينحر وأنه يمارس عملاً عبادياً جوهرياً وإن عمله أرقى أنواع العبادة والطاعة لله بحفظه لرسول الله ومراعات أهل بيته والدفاع عنهم خصوصاً وأن الحسين هو وارث النبي لأنه جزء منه وقد قال النبي ﷺ في حقّه حسين مني وأنا من حسين إذا الدفاع هنا عن رسول الله مباشرة وعن الإسلام وعن العبادات والمشاعر والطاعات جميعها من حج ونسك وصوم وصلاة وجهاد في سبيل الله.

واستمر في وسط المعركة يلقي العدو درساً في البطولة والفداء والنبيل والشهامة وعندما أصيب بجراحات نازفة سال دمها على جواده صار يردد قول عنترة.

لا زلت أرميهم بثغرة نحره ولبانه حتى تسربل بالدم وكانت الجنود تنهزم أمامه والرؤوس تتدحرج بين يديه حتى اشرفت بصيرته ورأى الجنة وأنهارها وماءها وحورها وغلمانها ورأى أن قصره في الجنة محاذياً لقصر سيد الشهداء عندها نزع لباس البدن وعلق روحه على رأس رمحه.

«واثبت في مستنقع الموت رجله وقال لها من تحت أخمصك الحشر» وتحاملوا عليه فازدادت روحه لمعانا وإشراقاً وفاضت إلى ربها تحوم فوق المعركة وحمله أصحابه إلى معسكر الحسين (عليه السلام) فجاء الإمام بأبي هو وأمي يؤبن الحر ويقول: انت الحر كما سمتك امك حراً في الدنيا وسعيداً في الآخرة وانبرى أحد الشعراء فرثاه بخشوع قائلاً:

لنعم الحر حر بني رباح صبور عند مشتبك الرماح
ونعم الحر إذ واسى حسينا وجاد بنفسه عند الصباح

جون مولى أبي ذر الغفاري:

التربية الإسلامية تحول الجماد إلى حياة والجهالة إلى علم والضلالة إلى هداية وقضية التربية الإسلامية في التاريخ تكاد تشبه المعجزات ولعلها إحدى المعجزات التاريخية التي أثرت في حياة العرب البدائيين فحولتهم إلى أمة راقية ذات شأن عالمي على امتداد التاريخ ولا زالت الأجيال الحاضرة تحن معها إلى الماضي الإسلامي المشرق فكانوا يأخذون الإنسان ويتركونه وعقيدته ولا يكرهونه على شيء وبسرعة فائقة يتقدم الحق في قلبه من سهولة المطلب وحسن الأخلاق والمعاملة الرحومة فيعلن إسلامه ويبدأ إنساناً جديداً في الرجولة والأخلاق وعالم الكمالات ولو كانت القوانين تنظر إليه نظرة تختلف عما صار إليه وعندما ترى القوانين والحاكمين أن هذا الرجل قد قطع المراحل العالية في الأدب والسلوك والكمالات ترفع الأثقال والأغلال وتمنحه الأوسمة وترفع قدره على غيره من الرجال.

ومن هنا يجب النظر إلى هذا العبد الصالح جون مولى أبي ذر الغفاري الذي قضى شطراً من حياته في بيت أبي ذر الزاهد المقاوم للسلطة الأموية ولليهود في آن فمن الطبيعي أن تكسبه هذه التربية العملية إضافات تربوية تجعله في مستوى الأحرار خصوصاً بعدما شاهد ما شاهد من مواقف غفارية جبارة في مواجهة عثمان ومعاوية وكعب الأحرار وبعدما رأى من زهد وعفة مولاه أبي ذر ما يدهش العقول حتى مات في صحراء الربذة منفياً عن دار هجرته بلا أهل

ولا سكن ولا قبر ولا كفن لولا أن من الله على مجموعة من الحجاج فكفنوه بكفن حلال طاهر لا غصب فيه وحفروا له قبرا في وسط الصحراء وصلوا عليه ودفنوه وحملوا معهم ابنته أو زوجته إلى المدينة.

ثم انتقل جون إلى الإمام الحسن سيد شباب أهل الجنة فرأى فيه قمة الخلق والتواضع وقمة الكرم والبذل ورأى فيه قمة التواضع والمروءة وبدأت هذه التربية الجديدة تكبر في ذاته وتنمو في صفاته فاشتد ساعده واتسع عقله وتمت مروءته وكبر وفاؤه وبعد وفاة الإمام الحسين عليه السلام انتقل جون إلى بيت الإمام الحسين عليه السلام وهنا تفتقت أريحيته وعظم نبلة ووفائه وكرمه وخصوصاً وأن جونا كان يلزم أخلاق الإمام في كل الأمور صغيرها وكبيرها وكان يحفظ من أخلاقيات الإمامة وتربية الرسالة.

ولا شك ان التربية الثورية تتجسد أكثر في الناشيء لقوة حرارتها وتلتمع العملية التطبيقية في ذهن المتعلم بشكل تتوقد فيه شعلتها وتضيء جوانب حياته كلها.

ورحلة كربلاء وحدها كافية في عملية التربية حتى تشرق روح من فيها وتصل بهم إلى مراتب اليقين وعين اليقين وحق اليقين فكيف إذا كانت مسبقة بتاريخ مديد في المدينة ومكة والبقيع والمسجد المحزون.

تلك أزمنة تمتد ظلالها عبر المئين وتلك أمكنة تظهر صورتها دائما في كل ذهن يشتعل حماسا وذكاءً وأريحية ونبلاً.

وكانت روح جون قد أنهت كل مقدمات العرفان للدخول في

عالم الكمال فلا شائبة ولا سائبة ولا غش ولا دغل ولا رياء ولا شبهة تحولت روح جون إلى قالب نور لا يرى الا وجه الحق ومن أحسن منظرا من النور والله جل وعلا نور السموات والأرض. ولما رأى جون إمامه في ساح المعركة وحيدا يستغيث فلا يغاث ويستجير فلا يجار. نظر بعين البصيرة فإذا الجنة ونعيمها ينتظرون مع الحور هذا الغلام الاسود فتقدم من سيده يستأذنه بالبراز والإمام يعلم ما عنده من سمو وروحانية وأنه أفضل من العرب الاقحاح والأحرار فرق له وقال له يا جون إنما تبعتنا للعافية وليس عليك قتال والجهاد مرفوع عنك فأجابه جون بلسان الوفاء والصدق واليقين يا ابن رسول انا في الرخاء الحس قصاعكم وفي الشدة أخذلكم لا والله يا ابن رسول الله حتى يختلط هذا الدم الاسود مع دمائكم، وكلما قرأت هذا النص كلما لاحت عظمة هذا الشخص عندي وكلما لاح لنا سمو نفسه التي تأبى على جسده الاسود ان يكبلها بلون بل هي تحررت من اللون والعرق والتراب وأصبحت تتجلى بالسمو والعلو وتتصل بالملأ الاعلى - ثم قال له: يا ابن رسول الله إن لوني لأسود وأن ريحي لنتن وأن حسبي للئيم فتتنفس عليّ يا ابن رسول الله بالجنة فيبيض لوني ويطيب ريحي ويشرف حسبي.

هل هذا بشر أسود أو عبد لئيم أم هو ملاك مجرد أو نبيل يتكلم أو حر يعلم الأجيال صناعة الحياة.

ثم يأذن الإمام فيخرج إلى الظلمة شاهرا سيفه مرتجزا سوف ترى الكفار ضرب الاسود بالسيف ضربا عن بني محمد أذب عنهم باللسان واليد حتى أرى الجنة يوم الموعد وطرب جون لمقارعة الأبطال وطارت أشواقه بعد الإذن في

المعركة إلى السماء وطابت نفس الأحرار في جسده وعاد يمثل
شريعة الحق والمرؤات والوفاء وانهمرت عليه السهام كشآبيب المطر
فأثخن في الجراح وعانق الحياة الأبدية وهو في آخر رمق من حياته
يراه الحسين قد خر من ظهر فرسه إلى الأرض فيسرع الحسين عليه السلام
لوداعه .

وقالوا إن الحسين واساه فجعل خده على خده ولا غرابة من
تواضع الحسين عليه السلام مع أصحابه مهما كان لونهم أن يعاملهم كما
عاملوه بالوفاء ودعا له اللهم طيب ريحه وبيض وجهه وشرف حسبه .
فسمع جون وهو في آخر رمق من حياته يقول مفتخرا من مثلي
والحسين واضع خده على خدي وفاضت نفسه إلى ربها علوا
وشموخا وقال المؤرخون إن جسد جون كشف في زمن الإمام
الباقر عليه السلام فإذا هو غض طري تفوح منه رائحة المسك .

إشراقة الروح وشمولية التربية وغضارة الحياة وصدق العمل
وحسن التهذيب كل ذلك جعل من جون بطلا قديسا وشهما كريما
وعنوانا من عناوين الوفاء والكرم والتضحية والشهادة .

حبيب بن مظاهر الاسدي:

كان حبيب بن مظاهر من حوارى الإمام أمير المؤمنين ومن
شرطة الخميس الذين أعدهم الإمام علي إعداد جيدا .

وعندما اشتدت الازمة على شيعة أهل البيت بعد مجيء مسلم
وفشل المعركة مع النظام وقتل مسلم بن عقيل وهاني بن العروة
المراد اختفى حبيب عن الساحة العامة وبدأ يعمل مع أصحابه في
الغلس ليؤمنوا الدعم اللوجستي لسيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام .

وكان الإمام الحسين عليه السلام قد خص حبيب برسالة خاصة يطلب منه النصرة ويستعجله ولما كان حبيب محاطا بجو أمني تشاور مع زوجته الطاهرة فحبيت له لقاء الحسين عليه السلام وطالبتة بالعجلة في ذلك .

من هنا بعث غلامه على فرسه إلى خارج الكوفة بين البساتين بحجة أنه يرعى الفرس وهي عادة شائعة ان الغلمان ترعى الخيل لأن خروج حبيب راكبا فرسا شاكيا سلاحه يعني انه خارج ضد النظام فاستعمل هذا الاسلوب السهل ثم انتظر إلى وقت لا يبصره أحد من الرقباء وخرج متخفيا ومشى بين المزارع وانتظر الغلام الصغير يجرب ركوب الفرس الأصيل فأسرجه وألجمه وركب وتحدث مع الفرس قائلا والله يا فرس حبيب لئن تأخر حبيب لأركبنك وأحمل معي سيفي هذا فاذهب إلى نصرة الحسين عليه السلام .

وبينما هو كذلك في غمرة المحادثة مع الفرس أطل حبيب من بستان النخيل شاهرا سفه فلما رآه غلامه نزل عن ظهر الفرس وسلمها لحبيب بعدما قبل يده وودعه ودعا إلى أهله يبشرهم بوصوله سالما .

وقيل أن حبيب كان عالما حكيما فارسا شجاعا كان يختم القرآن في ليلة واحدة وكان لا يفتر عن ذكر الله ابدا .

واستمر في سيره حتى ورد كربلاء عصر يوم التاسع من عاشوراء وكان الحسين وصحبه كانوا على موعد مع هذا الوصول وأن حبيبا لم يكن بعيدا حتى عن الجو العائلي للحسين عليه السلام فالسيدة زينب عليها السلام كانت تعرف من هو حبيب وكانت تسأل عنه باستمرار ولما وصل سمعت زينب بضجة الاستقبال فسألت ماذا

حصل فأخبرهوها بوصول حبيب فاطمأنت كثيرا وقالوا إنها بعثت له بتحية وسلام فبدا يفتخر ويقول من أنا حتى تسلم علي سيدتي زينب عليها السلام وفي ليلة العاشر جمع حبيب أصحاب الحسين عليه السلام ووعظهم وورغهم في الجنة ونعيمها وقال لهم يا أخوتي واحبتي لقد كان شرفكم ان تجاهدوا بين يدي الحسين عليه السلام وغدا إذا حمي الوطيس كونوا ردةً لآل البيت عليهم السلام ولا تدعوا أحدا من بني هاشم وأبناء علي ينزل إلى المعركة وفيكم عين تطرف ووصل الخبر إلى السيدة زينب عليها السلام ففرحت واطمأنت على هذا الإيثار العجيب من توجيهات حبيب وذهبت لتعرف رأي الهاشميين فرأت العباس بن علي عليه السلام جامعا أصحابه من بني هاشم وخصوصاً أخوته يوصي الجميع أن يؤثروا أصحابهم فيتقدموا هم أولاً بعد ذلك ان قتل الهاشميون يكونون أحرارا في خوض المعركة.

تأمل الاهل يوصي بعضهم بعضا والانصار كذلك وتنافس بنو هاشم مع أصحابهم على الشهادة والجميع رزقوا الشهادة وكل له دور. ودور حبيب العالم الكبير كان له تأثيره على إخوانه ومحبيه ولما جاء دور البراز برز إلى المعركة وهو ابن التسعين يجالد ويصارع قوى الضلالة فكانوا يهربون من شدة بأسه وقوة شكيمة حتى فرقهم تفريقا ومزقهم تمزيقا بسيفه. وعلى مسافة من المعركة أشرقت روحه فرأى من بعض آيات ربه ففحق إلى المعركة كالطير وهنا صدق الله ما عاهده عليه وصح فيه:

﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾.

كان حبيب عالماً جليلاً وعلماً كبيراً له إشراقته ولمعان ذاته وله

جذبتة الروحية وقوته المعنوية وكان أثيراً عند الإمام العظيم لكونه من أصحاب أبيه على الذين كان يحترمهم ويعلي شأنهم وكان من النخبة المعروفين بالولاء لآل البيت المستفيدين من علومهم وأخلاقهم وآدابهم حتى غدا كأنه سلمان المحمدي في زهده وورعه وتقواه.

فقضى شهيدا سعيدا وجاور الحسين في كربلاء وسوف يجاوره غدا في قصور الجنة.

رحمك الله يا حبيب وجزاك الله عن الامة خيرا بما قدمت ما يرضى به أولياء الله عزوجل .

الفاجعة الكبرى

لعلنا لا نرى ولا نقرأ عن فاجعة حدثت في برهة زمنية سريعة فقضت على أجمل صور الآدميين رجالاً ونساء وعلى أطهر قيادات هذه الدنيا صغاراً وكباراً.

ولعلنا لا نرى قضية تختزل أمة كهذه الثلة المباركة التي حملت مقابض سيوفها بأيديها ولبست جلود النمرور ونزلت إلى ساحة الصراع لا يمنعها شيء دون ورود المنية.

ولعلنا لا نجد فظاظة ولا حماقة ولا طغيان أكثر من فظاظة وحماقة وطغيان معسكر يزيد الذي قاده مجموعة من المسعورين الحمقى الذين لا يميزون بين شخص وآخر مجموعة من كلاب الصيد المتطبعين على سفك الدم وعض المقابل أينما كان خوفاً على النظام الغاشم.

كما لعلنا لا نجد مجموعة عشقت الحق واستماتت في الدفاع

عنه كهذه المجموعة العلوية ذات المقاصد العالية التي خرجت تتألم للمظلوم وتدافع عنه رافضة أية مساومة مع بقاء الظالم ولو للحظة واحدة.

لعل الأمم لا تحصل على ومضة زمنية تضيء برهة قليلة من ليالها الطويل المليء بالاعتداءات على الشعوب الآمنة المستقرة.

ولعلنا لا نجد عدوانية محضة ليس فيها مكسب شخصي لهؤلاء القتلة كهذه المأساة التي حصلت في كربلاء حيث تجتمع فئة فتفني نفسها دفاعا عن الظالم وتحمل آثام أكبر مجزرة بشرية وتخرج من المعركة صفرا ثم تحمل إثم المعركة وخزي الجريمة وآثار الفواح العظمى عبر التاريخ واستمر اللعن عليهم وعلى من معهم ولم يحصلوا من كل هذه المكاسب الا سبة الدهر وشينة التاريخ وذلة المرحلة.

أما الطرف الظالم فقد ملئوا جماعة وأفرادا وحشية وقذارة وذلة من أرواحها إلى أجسادهم إلى جميع متفرقات أبدانهم فقد كانوا وحوشا بكل ما للكلمة من معنى وكانوا مجرمين سفاحين بكل ما للكلمة من معنى ونتائج الحرب ليست لهم وإنما هي فلتة جاءت وراحت وولت وانتهت وانتهى أهلها وماتوا ودفنوا ساعة المجزرة التي ارتكبوها لأن الذي قتل الحسين قتل ليومه وساعته ولو ظن أنه عاش قليلا بعدها.

وأما أهل الحق والمعرفة والتوحيد وأهل السلوك والعرفان والكشف والطهارة فهم في أمان من لوثة الشر ووحشة المستقبل والضياغ في التيه. بل هم مجموعة مبصرة وجوه مشرقة وقلوب مضيئة وأرواح شفافة ولرقة شفافيتها تبصر الأمور من بعد ذلك وقد

كشف الله عن بصائرها فرأوا بعين البصيرة زوال دولة الباطل المتمثلة بيزيد بن معاوية ورأوا ان الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة ورأوا الحقائق حقائق والأوهام أوهاما ولم يختلط عندهم الحق بالباطل بل رأوا الباطل باطلا والحق حقا .

وما نقل عن قيادات معسكر الحق وبعض عناصره أشياء كبيرة مدعاة للفخر والقدوة خذ إليك مثلاً ما نقله التاريخ أن الإمام الحسين عليه السلام عندما كانت تتراكم الفظائع عليه ويعظم خطر المعركة كانوا ينظرون إلى وجهه فيرونه مشرقاً كالقمر ليلة البدر ويناجي ربه يستعينه على حل المعضلات . ففي حالات الصباح توجه إلى ربه بالدعاء قائلاً : اللهم انت ثقتي في كل كرب ورجائي في كل شدة وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة كم من هم يضعف فيه الفؤاد وتقل فيه الحيلة ويخذل فيه الصديق ويشمت فيه العدو أنزلته بك وشكوته إليك رغبة مني إليك عمن سواك ففرجته وكشفته فأنت ولي كل نعمة وصاحب كل وحدة وقاضي كل حاجة ومنتهى كل رغبة .

وعندما صرع في ساحة الوغى وضرب وطعن وهو غير قادر على المجابهة المادية سمع وهو يقول : إلهي صبرا على قضائك لا اله سواك يا غياث المستغيثين ما لي رب سواك ولا معبود غيرك . صبرا على حكمك يا غياث من لا غياث له يا دائما لا نفاد له يا محي الموتى يا قائماً على كل نفس احكم بيني وبينهم وأنت خير الحاكمين .

وعندما يقطع رأس الحسين وتأتي زينب عليها السلام فترى أخاها بهذه الحالة المرعبة والمشجية ترفع يديها إلى السماء وتقول : اللهم تقبل منا هذا القربان العظيم اللهم إن كان هذا يرضيك فخذ منا حتى ترضى .

أي بشر هؤلاء الذين لا يمنعهم خطب ولا فادحة تهز الشعور وتقوض البناء الشامخ أي بشر هؤلاء الذين يحترقون بنار الحب الإلهي ويغمرهم منه روحان وروح ونور فيشمخون ويشربون فقط إلى رضاه إلى رضاه إلى رضاه وسوف يعاملهم ذو الجلال فيقول يا أبا عبد الله ولسوف يعطيك ربك فترضى .

إن الإنسانية لتحنني إجلالا وخشوعا إمام هذا الإيمان الذي هو السر في خلود الثورة الحسينية .

لقد تحملت بطة كربلاء أعباء تلك المحن الشاقة وتجرجعت غصص تلك الأهوال محتسبة الأجر عند الله وهي تتضرع بخشوع إلى الله ان يتقبل ذلك القربان فأبي صبر يماثل هذا الصبر .

لقد تجلت قوة الشخصية في حفيدة الرسول وبنت الزهراء البتول عليها السلام وبرزت فيها قيم الوراثة العلوية والأخلاق النبوية في مواقفها التي صانت بها أهداف الإمام وأظهرت الواقع في تضحياته وأنارت السبيل في بيان أسرار شهادته .

«زينب الكبرى المرفف البطل»

عندما يموت الرجل أو الولد وهو أثير لدى أهله تتقطع عليه الافئدة وتتمزق الأرواح وتنهمر الدموع ولا يبقى أحد من الأهل والعشيرة الا ويبكي بدل الدموع دما فمن عقر الدواب إلى شق الجيوب إلى قص الشعور إلى لطم الصدور عادات بشرية تعبر عن المها وحسرتها وتعبر أيضاً عن سخطها وغضبها حتى على القدر المحتوم .

ومنذ أن جاء الإسلام وبدأت تعاليمه تحتوي هذه الأخلاق والأعراف تضاءلت الجاهلية وتراجعت العشائرية وتقدم الإسلام

عارضاً أخلاقاً جديدة صبرا وجلدا على المصائب ورضا واطمئنانا بما وعد الرب وحصلت فوادح كادت تقلب المعادلة البشرية بيد أن أخلاق الرسالة وأدبها قرب العلاقة بين القيم الجديدة والإنسان والمنفتح الواعي وضربت امثلة كبرى في زمن النبوة فقتل حمزة سيد الشهداء في معركة الفداء والنصر ومثل به من قبل الأمويين والجاهلين وحتى النبي ﷺ جزع لهول المأساة وفضاعتها وحلف لئن أظفره الله بقريش ليمثلن بسبعين رجلا منهم وهو قليل في حقهم لأن حمزة أكبر منهم جميعا ولكن الله أراد أن يكون النبي أكثر الأمة صبرا وأحزمها أمرا وأكثرها عفواً وحلما فأنزل ربه عليه القرآن يقول: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ﴾ نص مبارك يليه نصوص مثل، ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾، ﴿...وَكَثِيرَ الصَّادِرِينَ﴾ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ .

ورقة الام أو الاخت أو الزوجة امر مسموح به فرضت قيود أدبية على هذه العادات حتى لا تخرج عن الطور المرسوم في صياغة التربية الجديدة ولكن أهل البيت صاروا رجالاً ونساء وكانوا مثالا عظيما يحتذى به ومعلما يسعى إليه وكانوا جميعا وحتى في أخرج الظروف حريصين على ضرب المثل وتطبيق الحكم الشرعي وقد ذكرنا فيما نص وقبل قرع طبول الحرب بثوان كيف كان أبطال الصفا وفرسان الهيجا يتعاملون تعاملًا عاديًا حتى كأن المعركة لا تعنيهم مع أن إرهاباتها واضحة وبوارقها أزفة وجراحها نازفة .

وعندما رأت أم المصائب زينب أخاها مضرجا بدم الشهادة والأنوار تسطع من جبينه المدمى

ومجرح ما غيرت منه القنا لونا ولا أخلقن منه جديدا

قد كان بدرا فأغتنى شمس الضحى مذ البسته يد الدماء لبودا
بقيت صابرة صامته يعبر الاسى عن صمتها وحزنها وتنظر
الملائكة إلى صبرها وتزول الجبال الرواسي وتبقى على رزانتها
واليك بعض ما جادت به القريحة:

ومن بين هاتيك العقائل زينب ومن امها الزهراء فاطمة الطهر
سقاها الاسى كأسا لو أن مزاجها يصب على نهر لما اعذوب النهر
ولما رآته بالدماء مجللا وقد حز منه الراس والجيد والنحر
تملكها الحزن الممض ولم يعد بإمكانها الإفصاح عما حوى الصدر
فأومت إليه والجوى ملء قلبها وقد أفصحت عن سرها الأدمع الحمر
أخي من لنا من بعد عزك مرتجى يصون يتامانا إذا اتسع الهجر
أخي سوف أمضي والملمات صعبة واشمخ في دنياك ما بقي العمر
وأبقى على الخط الذي أنت صغته وأصبر حتى ينتهي العد والحصر
اللهم تقبل منا هذا القربان وقد مر عليك بعض مثله وفي
موقف لاف للنظر.

إن السبايا مع الرؤوس عندما قدم بهم الجيش الغازي إلى رحبة
الكوفة وعرف الناس ان هؤلاء آل محمد وهذه بنات علي بن أبي
طالب الذي كان خليفة بالامس ومقر خلافته الكوفة.

عظفت النساء على السبايا وجاءت بالازر والملاحف والتين
والتمر والجوز والطعام وكان الاطفال جائعين فمدوا أيديهم إلى
بعض المآكل فهبت أم كلثوم بنت علي عليها السلام تأخذ التمر من الاطفال
وتوزعها على فقراء الكوفة قائلة إن الصدقة محرمة على بني هاشم.
أية امرأة هذه أي مجندة من مجندات الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر اية مشرفة ومربية واعية وهادفة تراقب في ايام الشدة

والمحنة. وتخطب بعد ذلك خطبتها وتظهر قوتها وحجتها على من سبها وحرم هؤلاء الاطفال حتى من الناس عليهم بما يحرم عليهم أخذه وتناوله منهم.

عناوين مضيئة ومعالم ثابتة نساؤهم خير النساء ورجالهم خير الرجال وشبابهم خير الشباب انها الروح النفاذة والبصيرة التي ترى عالم الغيب كما ترى عالم الشهادة.

اظهرت المعركة خفة القيادات الأموية وأن الحكم كبير وواسع على معارفهم فطفقوا يخطئون بالكثير الكثير من الآداب والأدبيات حتى بنوا زعامتهم على القوة واعتبروا هذا النجاح من دولة عظمى على فئة قليلة العدة والعدد شيء كبير وكأنها انتصرت على أعظم دولة في التاريخ.

مع ان الانتصار في الحرب الداخلية محسوم لصالح الجيش والدولة في أكثر الحالات وهيئات أن تنتصر معارضة بكمية قليلة من البشر أو العدة ولذلك تراهم عندما عرضوا رؤوس القتلى بما فيهم رأس الحسين عرضوا أيضاً سبايا أهل البيت كأنهم ترك ديلم.

وقد قصد الحكم من هذه البربرية إشعار العلويين بما فيهم النساء بالهزيمة النكراء والاحباط الكبير.

ومن هنا عندما اطلت زينب بنت علي عليها السلام بقامتها الشامخة وعليها أردل ثيابها لفت نظر ابن زياد أنها لم تسلم ولم تأبه له فسأل من هذه فلم تجبه احتقاراً له ثم كرر السؤال فأجابته بعض من معها من النساء وهذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله ﷺ فأقبل عليها متهمكماً: كيف رأيت صنع الله بك وبأخيك الحسين قالت بكل

هدوء: ما رأيت الا جميلا ، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتال فبرزوا إلى مضاجعهم . وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم فانظر لمن الفلج يومئذ ثكلتك امك يا ابن مرجانة . وأشدت النزاع وكانت تلقمه بذلك حجرا فينهزم أمامها حتى استعمل القوة والسلاح في وجهها فاستعملت في وجهه الحزن والالام ولكنها كانت تنزع إلى أبيها فتفرغ عن لسانه فتحير الجالسين وتصغر المتكلم حتى لا يعود إلى الحديث معها .

ولما نقلوا الرؤوس والسبايا إلى الشام حدثت أمور ليس هنا محل ذكرها ولكن زينب عليها السلام كانت في كل حالاتها ورغم المناظر المؤلمة التي رأتها عند يزيد الذي وضع رأس الحسين عليه السلام على طاولته وجاء بقضيب الخيزران وبدأ ينكث بها ثانيا الإمام الحسين عليه السلام وبمقدار ما كانت الفعلة مغيظة لآل البيت كانت سيئة جدا من ملك يدعي أنه خليفة المسلمين . وأن هذا بداية دق النعش الأموي المنهزم ليقع على رؤوس حامليه ولكم برعت زينب في عرض القضية الحق في موقف يصعب على أي رجل وقوفه وهنا يأتي كلام سيد الشهداء وعندما سئل لم تأخذ النسوة معك وأجاب بجواب مبهم شاء الله ان يراهن سبايا .

وهذه المشيئة الإلهية أوصلت زينب إلى قاعة الملك الأموي وأوصلوها مسببة مقهورة لأنه لو لم تأت مسببة فكيف لها أن تصل وبذلك اللحظة التاريخية المهمة وقفت زينب وقفها وقالت كلمتها وقرعت يزيد بكلام اشد من السوط وأقطع من السيف ومم قالت :

ولئن جرت علي الدواهي مخاطبتك إنني لاستصغر قدرك واستعظم تقريعك واستكثر توبيخك لكن العيون عبرى والصدور حرى

ثم قالت له فكد كيدك واسعى سعيك فإنك ما فريت الا جلدك وما
حززت الا لحملك وهل أيامك الا عدد وعيشك إلا نكد. الخ.

ثم تعود إلى حمل المسؤولية وتؤدي دورها بالندب والعويل
وإثارة المشاعر ويتعلق بها أهل الشام المضللون ويضطر الحاكم أن
يرجع النساء إلى بلدهن وعادت العاقلة اللبيرة والأديبة الخطيبة تلقي
الخطب والمواعظ وتجسد ملحمة الرجولة بأفضل ما يكون من الوعي
ما يكون حتى يكتب الوالي ليزيد إذا أردت بقاء المدينة في ملك بني
أبيك فخذ زينب بنت علي عني والا فالمدينة خارجة ثم تصف
الرسالة زينب بالعقل والوعي وأنها تؤدي دورا لا يمكن لأحد
الوقوف في وجهه حيث لازالت منذ مجيئها لا تفتر عن الندب
والبكاء وعرض المأساة الكربلائية بما يثير ويحزن ويحزن له حتى بنو
أمية والجو اليوم كله مع زينب وأخيها واذا بقيت الحالة هكذا حتما
سأكون أنا معها ولا تلمني فالجو هكذا.

هذا كلام له مدلوله السياسي والاجتماعي وأن زينب تقوم بدور
عظيم حيث تهيب الأمة لمعركة فاضلة وحاسمة ضد النظام الأموي.

ألم تكن بنت علي تؤهل الناس للثورة الجانحة والجامحة الم
تتغير المدينة رأسا على عقب عندما خرج الجيش سيد شباب أهل
الجنة لم يكن في المدينة عشرون رجلا يحبون آل البيت عليه السلام.
وتعود زينب عليها السلام وحدها بعد مقتل الحسين عليه السلام تغير المدينة وتثور
المدينة وهي من أوائل الثورات الشعبية وتلتهم الامة ويترد مروان
واقاربه ولولا جيش الشام لكان للمدينة شأن كبير في إرجاع الحق
إلى أهله ورغم تفوق الجيش الأموي بقيادة مسرف المري لم تتغير
سياسيا بل بقيت مع الحسين عليه السلام بل ازدادت ضراوة وحبا واشتعالا

لهذا الحب الصحيح هذا بحث مختصر عن زينب المسبية والتي دارت في البلاد من مكان إلى مكان مظلومة والقت كلمتها وحصنت المسيرة الكربلائية بما يشبه القوة الضاربة وأعطتها من عقلها عقلا ومن أدبها أدبا وعادت المسيرة تستهدي بكلام زينب عليها السلام لأنها المرأة العملاقة والروحانية الإشرافية التي أطلت من علو روحها وسمو نفسها ونظرت بعين الحق إلى النتائج المحسومة لصالح الثورة الحسينية المعطاء.

هذه زينب بنت فاطمة العالمة عير المعلمة والفاهمة غير المفهمة ذات الروح المشرقة والقلب البصير والضمير الخبير.

فسلام الله عليها وعلى أمها وأبيها وأخويها والتسعة المعصومين من ذرية أخيها الحسين عليه السلام.

الإمام السجاد (ع)

فارس من فرسان الملحمة الكبرى وعالم ذو سلوك كبير عرف بإشراقة ونقاء روحه وطهارة قلبه أن المعركة الساخنة خاسرة والحل هو العمل لتهديم الدولة الأموية من الداخل ومن هنا اعتزل الأمة ثلاث سنوات ونصب خيمته في الصحراء غير عابئ بكل ما يجري معلنا حزنه على أبيه وأخوته وأهل بيته مشغولا بالدعاء والقرآن والأوراد متأله لا يرى في عقله وقلبه غير ربه وإشراقي محا ظلاميات حياته بعبرات دموعه وأحيا قلبه بطيب علاقته مع سيده.

أما الليل فصلات ودعاء ودموع وأما النهار فتأمل وتفكر وخشوع. السياسة التي تفرد بها ليس لها إله في هذا الزمن والطريقة التي اخترعها لا يعرفها غيره في أيام المحن.

عليم كثير علمه وجواد عظيم جوده وحزين طويل بكاؤه وأسيف
غزيرة دموعه. تأمل كيف يناجي ربه في أدعية الصحيفة التي ارتجلها
كأنها إحدى معجزاته ودليل على آياته وبيئاته.

عاش روحي فداه مع أبيه فترة طويلة ما انحنى فيها لغير خالقه
ومدة مديدة ما أكل من غير رزاقه.

طيب في السريرة وعطر في المسيرة ووعي في حكمة ونور في
ظلمة وعالم لا يدرك قعره ونور باهر لا يغيب فجره.

حضر الملحمة الإلهية وعرف أسرارها وأهدافها وعاش دقائقها
وأناتها وآهاتها وأوجاعها وآلامها وبكائها ودموعها الغزيرة.

وشاءت القدرة الإلهية أن يكون مريضا ليبقى سالما لأن الظلمة
الحاقدين لم يتورعوا حتى عن قتل الرضيع والشيخ الكبير ولولا
اللطف الإلهي لقتل وخسرت الامة فارسها وحامي حوزتها وحافظ
دقائق تفاصيلها.

وانتقل من طور إلى طور ومن كربلاء إلى الكوفة ومن الكوفة
إلى الشام حتى تأكل لحم فخذه ومع ذلك ظل يجاهد ويكابد تارة
بالصبر وطورا بالموقف حتى أدى دوره كأحسن ما يكون مما يعني
أن القضية الاعلامية والسياسية أو قل ان الفصل الأول من فصول
الاداء الاعلامي كان جيدا ومفيدا وأنه لا يطلب في الجو اللاهب
أكثر من هذا الشكل من الاداء الاعلامي والسياسي الهادئ.

ومن هنا عندما خطب في أهل الكوفة وناداه أهلها مرنا بأمرك
نحن طوع بنانك رفض عليه السلام ممتعضا من هذا المكر قائلا هيهات
هيهات حيل بينكم وبين ما تشتهون فلم يخدع لمعسول كلامهم ولم

يخضع لبعيد مرامهم بل ظل كما هو قائدا عظيما وحليما مع علته
ومرضه المضعف.

ولما رأى ان ابن زياد يغيظ العقيلة زينب عليها السلام ويؤذيها أكثر
لأنه يخاطبها إمام السفهاء بمقالاته السفهية صاح في وجهه وأنبه
ووبخه يابن زياد إلى كم تعرف عمتي إلى من لم يعرفها الم تعرف
أنها من مخدرات الوحي وربيات الرسالة.

وهنا ثارت ثائرة ابن زياد وهدده بالقتل فأجابه كما يجيب
البطل المغوار القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة.

ولم يقلع ابن زياد في مناقشته بل تراجع إمام نبرة صوته وجراً
موقفه وحكمة كلامه.

وانتهت الرحلة المؤلمة في دمشق بعد أن قضوا أكثر من أسبوع
على طريق دمشق مع العذاب والألم الممض.

وفي أجواء الألم والحزن على آل البيت تتالت أصوات الفرح
والنغم والانتصار في سماء دمشق المنتصرة التي لا تعرف على من؟

وأخيرا بهر الإمام هؤلاء المجتمعين وأخبرهم بحقيقة المأساة
وعظيم الرزايا على آل رسول الله ﷺ.

وعندما تعرض له شيخ من المشايخ المضللين سأله إن كان
يقرأ القرآن فلما أجابه بنعم، سأله عن مجموعة آيات نزلت في آل
محمد ومنها آية القربى ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾
وعندما أخبره بأنهم هم القربى تفاجأ الرجل وبدا يفشي هذه
المعلومات وانتشر الخبر من واحد إلى آخر.

وعندما اجتمع الجمع وعظم الحشد وامتلئت الساحات ووضع المنبر للخطابة وصعد خطيب يزيد المنبر مادحاً يزيد ومعاوية وسلفهما السيء وشتم الحسين وأباه عليا والمخابرات أكثر من الحضور صرخ بصوت جهوري سمعه الناس إخصاً أيها الخطيب لقد اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق. وطلب من يزيد ان يصعد المنبر وخاف يزيد وأخيراً وافق إمام الضغط الجماهيري فصعد المنبر وتحدث بكلام لم يسمع أهل الشام مثله طول حياتهم.

ثم عرفهم بنفسه وأبيه وجده وجدته فاطمة وعرض طور المأساة البشعة وظلم يزيد وابن يزيد وما نزل الا وتمت فضيحة آل أبي سفيان وعرف أهل الشام فداحة الجريمة التي ارتكبتها يزيد وبنو أمية. وبهذا يكون الإمام السجاد قد أدى الفصل الأول من فصول المأساة على أحدث وجه وأحسنه وكان المقصود تعرية حكم بني أمية وتعريف الناس بالجريمة التي لم يحصل في التاريخ ولن يحصل مثلها في المستقبل.

ومن هذه اللحظة بدأت الدولة العظمى تنكمش وتراجع وبدأ الدم الحسيني الهادر يتقدم ومنذ اللحظة هذه ارتفع الحرج والخوف وتقدم الوعي والنقد والثورة ومشت الثورة تارة بالخفاء وطورا بالعراء تحت الشمس والجميع يلعنون يزيد وتمكن الإمام المعتزل في خيمته أن يقوض عرش يزيد ويذهب بنو سفيان إلى الهاوية وتأتي دول وتقوم دول وتموت دول والثورة مشتعل اوارها ناشط أربابها كثير أصحابها.

وعاد الإمام المظلوم المهموم إلى مسجد المدينة مرجع الامة فكريا وسياسيا وفقهيا وعاد أهل البيت بحكمتهم وهدوئهم وانفتاح

الناس عليهم وأندحر الأمويون لأول وهلة وتراجع الحكم الظالم وحل محله الدم الحسيني الهادر وبدأت الامة تسمع بنغم زبور آل محمد كما تسمع الكنار وطار صيت الإمام الزاهد والراكع الساجد والعالم الروحاني والمتأله الكبير والنوراني القدير وعكفت الامة على عالمها ومعلمها ومرجعها ودارت رحى الأيام باتجاه آل محمد وثار أهل الكوفة من جديد كما ثار أهل المدينة من قبل وظل علي زين العابدين على ما هو عليه من الرزانة والأمانة وتحمل المسؤولية يزداد في كل يوم جرأة ويلقي كل يوم حجة ويوضح كل يوم محجة.

فسلام عليك يا امامي ايها العابد السعيد والعالم الرشيد ورحمة الله وبركاته.

تداعيات الملعمة

عندما كان الإمام الحسين في مكة وطلب منه ابن الزبير إعلان الثورة قال: وأيم الله لو كنت في جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا بي حاجتهم والله ليعتدن علي كما اعتدت اليهود على السبت وكان يقول: والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي فإذا فعلوا سلط الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من فرام المرأة^(١) والمقصود بالفرايم هي خرقة الحيض التي تتشتر فيها المرأة عند العادة الشهرية ثم تدعها في سلة المهملات.

وفعلًا صدقت نبوءة الحسين عليه السلام حيث تحول بنو أمية إلى ذئاب كاسرة لا يعرفون منطقاً الا السيف ولا حوار الا بالسيف ولا

(١) الطبري ج ٤ ص ٢٨٩، الكامل لابن الأثير ٣/ ٢٧٥ - ٢٧٦.

يرون جوابا الا بالسيف وسطا رجال الحكم وأزلامهم على العشائر العربية وفعلوا الأفاعيل دون أن يتمكن أحد من الوقوف في وجه هذا الجنون العارم والأخرق.

وطبيعيا عندما يقتلون رأس الاشراف ويسبون بنات من يذكرون اسمه في آذانهم وصلاتهم فهل يبقى لعربي أو عجمي محل للاحترام والتقدير.

ولقد أحل يزيد لجيشه الدخول على اموال الناس وأخذ ما يشاؤون دون رادع تحت حجج واهية وأما من ثبت عندهم أنه من الموالين لأهل البيت فدمه يسفك وعرضه يهتك وماله ينهب.

وقد ندم الكثيرون خصوصاً الذين استنصرهم الإمام الحسين فلم ينصروه ندموا وندمت عشائريهم بأن ما خسروه من الظلم والاعتداء الأموي الآثم أكثر بكثير لو أنهم حاربوا وقتل منهم عدد أو أسر آخرون وبعبارة أوضح ان الجلوس على الحياد كلفهم أكثر ما لو كانوا في المعركة وأما رؤساء العشائر الذين خذلوا الإمام الحسين فهم اشد ندماً لأن العدو بعد ذلك اتهمهم ولاحقهم وأصبحوا خائفين مرعوبين في كل مكان. وما فعلوه مع الموالي أي غير العرب أقل بقليل مما فعلوه مع العشائر العربية الأصلية ويكفي لرجل المخابرات أن يوشي وشاية صغيرة على ضيعة أو عشيرة لكان كافياً في معاقبة العشيرة ولو كانت مليوناً ومن ثم تعاظم أمر يزيد وظلمه وتحولت البلاد خاضعةً للأحكام العرفية الدائمة والسماح فقط للجيش الأموي والأمن ورجال الدولة. والجميع تحت الرقابة والإدانة.

وهذا ولد انفجاراً كبيراً في الساحات العراقية والحجازية وحتى البلاد البعيدة كاليمن وحضرموت ومصر وغيرها.

وقامت الثورات في المدينة والكوفة وكثيرا من أطراف الدولة الإسلامية وكانوا لا يعالجون مشكلة الا انفتق لهم مشكلة أخرى.

وبما ان يزيد ووزرائه مجموعة مجانيين حكم وغلمان لهو ورثوا هذا الحكم وراثه وليس لهم حنكة ولا دهاء سياسي. ذبحوا الناس ولم يفرقوا بين بلد آمن مقدس وغيره.

ثلاث سنوات من حكم يزيد استأصل فيها أولا آل البيت الذين إذا ذهبوا ذهب معهم الدين.

وفي الثانية استأصل المدينة وهتك حرمتها وقتل صحابة النبي ﷺ حماة الشرع وكان الدم في مسجد النبي إلى الركب أي إلى ما فوق القدم لكثرة الدم الذي سال من مناخر أصحاب النبي ﷺ. وفي الثالثة هدم الكعبة المشرفة.

ليست هذه المعالم الثلاث هي معالم النبوة ومعالم الإسلام وتراث النبي ﷺ فإبادة وهدم المعالم يراد منه هدم المعالم الإسلامية واحلال المعالم الجاهلية محلها.

واستمرت التداعيات الزبيرية والمروانية واحدة بعد الأخرى حتى تآكلت الدولة الأموية من داخلها وسقطت على وجهها في معمعة الحرب الدائرة بين الحالات الشعبية المنتفضة وبين الدولة الأموية المتداعية أوليس ما قاله الإمام الحسين عليه السلام هو عين ما وقع بعده حتى تهاوت الدولة الأموية.

الآثار المباركة

هل يمكننا الحصول على نتائج سريعة أولدتها هذه الدماء وانتجتها هذه القرابين الالهية.

لا بد اننا إمام نتائج ولكن لكل ثورة هدف بعيد وهدف قريب أو قل هدفان استراتيجي وتكتيكي فالأول الوصول من خلال الثورة إلى تغيير الواقع المعاش وإعادة الحياة إلى ما كانت عليه زمن النبوة وعلى الأقل زمن الخلافة الراشدة والثاني تحصيل وطء قدم في مسيرة الالف ميل .

وعملية مقدمات الثورة كانت جادة وكان الهدف الكبير واضحا وكان قائد الثورة التغييرية يعرف النتائج القريبة والبعيدة سلفا ولكنه لا يستعجل النتائج لأنه يعرف أن الهدف الكبير يحتاج إلى وقت يستثمر فيها دم الثوار ودم القائد الأكبر حتى تشتعل النار في كل حي من أحياء العرب ويتحول الكم إلى كيف وتنتهي الهرقلية العربية التي وضع أسسها معاوية ويعود أمر الأمة إليها الذي صودر كل هذه المدة المديدة .

ومن البديهيات في ثقافة سيد الشهداء تمسكه بشيئين الاول : معرفته بكل المقدسات والنتائج وسمها ما شئت الهاما كشفا عرفانا غيبا اطلاق على الغيب بواسطة جده أو أبيه أو أمه أو عن طريق الملك المحدث أو عن طريق الالهام كل هذا يصح في شخصيته الكبيرة .

الثاني التزامه الكامل بكل مجريات الأمور والأحداث حتى تصل الأمور إلى ذروتها ومن هنا ونحن نقرأ التاريخ العاشورائي تلتقط شذرات مهمة تضيء لنا فكرتنا عن هذا الطرح .

انظر ما ذكره الطبري في تاريخه ج ٤ ص ٣٠٠ - ٣٠١ :

عندما كان في الطريق ووصل خبر مقتل مسلم وهاني وأخيه من

الرضاعة عبد الله بن يقطر فتأسى وتعزى وجاء النصحاء له فقدموا نصائحهم مرات ومرات وكان النصحاء قبل ذلك قد قدموا نصائحهم في المدينة ومكة وعلى الطريق وأخيرا قال: الكلام الفصل «يا عبد الله انه ليس يخفى على الرأي الذي تقول ولكن الله لا يغلب على أمره» أرادوا له الرجوع والعيش بسلام وأن الثورة بدأت فاشلة فالطلائع أبيدت والاجنحة تكسرت ولم يبق الا هو وسبعون بطلا جاؤا معه من المدينة وتبعه بعضهم على طريق تحرير النفس.

ويلفت نظر الناصح الشغوف إلى ان الله أجرى مقاديره وسوف تجري وأنا لا يمكنني الرجوع لأن المقادير تأخذ بعنقي ولا تتركني الا شهيدا مضرجا بدمي ثم يتناثر هذا الدم وتحمله الرياح إلى كل بلاد الدنيا وأي محل يقع عليه يحدث فيه تغيير وعليّ أن أتحمل تداعيات المذبحة من أسر وسبي وتشريد واذلال وسوف أذبح وتسبى نسائي وبناتي واخواني ونساء أصحابي.

وسوف يكون هذا الدم وهذا السبي جزء من الثورة وهو سيف مسلول فوق رؤوس الظالمين حتى يبادوا واحدا بعد الآخر وسوف يستمر دم الثوار دفاقاً عبر العصور متخزين دمي وهتك حرمي وسبي نسائي وبناتي مناسبة جيدة لضرب الظالم ثقافيا وسلوكيا وأخلاقيا.

حتى يلتئم الندم ويشعر بالاثم والخزي ويضطرب ويخاف ويهرب من مواجهة الثوار الأحرار.

وأهم ما حصل بعد إراقة الدم الحسيني الزاكي.

١ - الثورة نسفت العنفوان الشرعي الذي تسور به بنو أمية على أنفسهم حيث ادعوا انهم عشيرة النبي محمد ﷺ وأنهم جاؤوا

للمحافظة على شرف قريش والعرب وأنهم سوف يقومون في تكريم العلماء وحفاظ القرآن.

٢ - ان الثورة الحسينية أحييت الضمائر الميتة والمخدرة بالآفيون الديني وأثارت النفس اللوامة الداخلية وأصبحت هذه النفس تلاحق كل فرد من أفراد المجتمع العربي على خذلانه إمام زمانه وإطاعته حكم بني أمية الظلمة.

٣ - إن هذه الثورة بهذه الدماء الطاهرة انتجت أخلاقاً جديدة وقدمت الروح الجهادية إلى الواجهة الاولى.

٤ - حبيب الجهاد إلى المجتمع الإسلامي وحددت له خصومه السياسيين أولاً وذكرت أو قل وضعت النقاط على الحروف وقالت أهم الأعداء فلان وفلان وجاءت بكل تاريخ بني أمية ووضعتة عليا الطاولة وقام الاعلام الثوري بفضح بني أمية وجماعتهم.

هذه عناوين كانت تحكم المجتمع العشائري وكان الأمويون لا يخافون الا من الهاشميين الذين تليق لهم الزعامة والكرامة وخصوصاً العلويين الأولياء الشرعيين على الامة اماماً بعد إمام حتى مولانا صاحب العصر والزمان عليه السلام.

بداية الثورة السعبية

ذكرنا فيما مضى أن الثورة الحسينية بدأت من الشام والكوفة لأن العمل الاجرامي الذي قام به الأمويون فضحهم واستغلت زينب عليها السلام كذلك الإمام السجاد حالة الاسر والسبي وأظهروا للناس حقائق كانت خافية على الناس.

وبدأت حالة التملل الشعبي تنمو وبدأ بغض بني أمية يكثر ويتعظم ولكن الرد الشعبي الكبير بدأ ما أطلق عليه ثورة التوابين.

بعد مقتل الحسين عليه السلام بقليل سرمد الحزن رواقه على الامة واتشحت بالسواد وتلاوم الناس فيما بينهم وخصوصاً العراق وبالأخص الكوفة حيث كانت منبع الثورة ورجالها رجال مخلصون لعلي وآله وبدأت النفس اللوامة تراجع حساباتها وبدأت خيوط الثورة تلمع بالأفق وتلاقى نفر من وجهاء الشيعة: سلمان بن صرد الخزاعي ومعه مجموعة من الاخبار وبدأهم المسيب بن نجية فقال: كنا مغرمين بتزكية أنفسنا وتقريظ شيعتنا حتى ابتلانا الله فوجدنا كاذبين حيث استنصرنا ابن بنت نبينا محمد صلى الله عليه وآله فخذلناه ومالاًنا الظلمة فما هو عذرنا غدا عند النبي محمد صلى الله عليه وآله.

وتكلم سليمان بن صرد وقد جعلوه زعيماً عليهم فأظهر الندم والتوبة وحذر من العواقب الوخيمة وسوء المصير ثم حث أصحابه على الجهاد والتوبة ودعاهم إلى قتل أنفسهم في سبيل الله وطابت نفوس القوم لهذه العواطف الجياشة وأصبح الحسين قدوتهم وقبلتهم وشعارهم ودثارهم وبدأوا يجمعون السلاح والأموال ويجندون الشيعة المخلصين حتى كثر العدد المنظم والفدائيين الكبار حتى إذا كانت ليلة الجمعة لخمس بيقين من شهر ربيع الأول سنة خمس وستين خرجوا وتوجهوا إلى قبر الحسين عليه السلام فزاروا وصلوا وصاحوا صيحة واحدة وبكوا بكاء التائبين المنيين ثم غادروا القبر الشريف مستبصرين بأحقية ثورتهم عن بكرة أبيهم. والملاحظ أن التوابين لم يتوجهوا إلى الكوفة بل توجهوا إلى الشام لأنهم عرفوا أن الشام وأن رأس الشام هو أصل الفساد والإجرام وأنهم إذا

استأصلوا رأس الشر فسوف تتهدم وتتداعى كل توابعه وأزلامه في بقية البلاد الإسلامية.

ويلاحظ على هؤلاء الثوار أولاً أنهم لم يصبروا حتى يكتمل العدد الكبير لمحاربة النظام الحاكم فيسقط دفعة واحدة ولم يبدوا بحرب ثانوية بسيطة وتمتد معهم الثورة على طريقة العمل الفدائي في لبنان وفلسطين وإنما توجهوا مجتمعين وهم خلاصة الثورة وشعلتها المتوقدة فلما انطفأت الشعلة الأولى كان من الصعب إيقادها مرة ثانية وخصوصاً في أحياء الكوفة التي أصابها القلق من هذا الفشل الذريع.

ولكننا لا بد أن نسجل لهذه الظاهرة اليتيمة بعض نجاحاتها وأهم ما فيها أنها حققت بعض الأمور المهمة.

- ١ - أيقظت الامة من جديد.
- ٢ - خلعت عنهم لباس الخوف في المواجهة.
- ٣ - أترعت الأمل في تحقيق النصر.
- ٤ - ركزت سلوكيات كانت بداية تحول جماهيري باتجاه الحائر الحسيني الشريف.
- ٥ - عمقت الجراح حيث دخلت الشهادة من جديد إلى بيوت رؤساء العشائر العربية الأصلية.
- ٦ - بدت في بعض حالاتها كأنها لهب يتقد ويمتد يستوعب البلاد الإسلامية من أقصاها إلى أقصاها.
- ٧ - تحول الحسين إلى إمام حقيقي للثورة وقائد ميداني

وأصبحت أخلاقياته شاخصة في ساحة الميدان بأبلغ بيان وأفصح لسان.

وكان لدم الشهادة أثر طيب ومبارك على امتداد حركة الأمة الإسلامية ونختصر القول بأن هذه الجذوات الحسينية المباركة هي الذرات الثورية للقبلة الذرية التي سوف تلقى على النظام لتبيده دفعة واحدة.

ثورة المدينة

عندما قيل للإمام الحسين عليه السلام لماذا تأخذ هذه النسوة معك إذا كنت ذاهبا إلى الموت. كان الجواب شاء الله ان يراهن سبايا ولم يوضح الإمام أكثر من هذا ولم يكتر السائل أسئلته لإحراج الإمام حتى يوضح له المطلوب الخفي من هذا اللفظ الموجز.

لكن الأحداث الدامية أثبتت بما لا مزيد عليه ان سبي النساء بعد قتل الرجال أجاج نار المعركة خصوصاً وأن السبايا لسن نساء عاديّات بل هن أفضل من عرف من نساء عصرهن أدبا وعلما وجهادا انهن من بيت طهره الله تعالى ومن معدن علم النبوة والزعامة والامامة.

ومن هنا كان لهن دور بارز في إشعال لهيب الثورة وتسعير أوارها وكان خطاب زينب عليها السلام في الكوفة والشام وبقية الأماكن التي عرضت فيها نساء آل البيت ما جعل الناس أكثر سخطا على الأمويين وأزلامهم.

والحق يقال لولا زينب لما استطاعت الثورة أن تسقط هذه الحكومة الجبارة المتعطرة والممسكة بزمام الأمور بكل قوتها.

ولكن زينب عليها السلام وما أدراك ما زينب التي كانت كلماتها أشد من الرعد وأكثر زخماً من الرصاص والصواعق هي التي مهدت لاستئصال الحكم الأموي من الوجود وبعد الإياب من رحلة العذاب والثورة من كربلاء إلى الكوفة إلى الشام ومن الشام إلى المدينة وما قامت به أثناء هذه الرحلة مما جعل النظام يعرض أصابعه ندماً وحيث ألهمت العواطف وأججت المشاعر لكره بني أمية ولما لقت عصاها بعد الرحلة الدامية في المدينة قامت بدور مهم جداً في فضح الجهاز الحاكم حتى اضطر والي المدينة عمرو بن سعيد الأشدق الذي شمت أولاً بقتل الحسين عليه السلام وذهب لدى علمه بالخبر إلى قبر النبي ﷺ وقال له يا محمد يوم بيوم بدر هذا والوالي اضطرت زينب عليها السلام أن يخرج عن طوره العادي ويكتب إلى يزيد كتاباً ملؤه الشفقة على النظام قال فيه :

إن وجودها بين أهل المدينة مهيج للخواطر وأنها فصيحة عاقلة لبية وقد عزمت هي ومن معها على القيام للأخذ بثأر الحسين عليه السلام .

فأتاه كتاب يزيد بأن يفرق بينها وبين الناس^(١) ولعل النظام ارتأى أن يبعدها إلى الشام بدعوة عبد الله بن جعفر مع زوجته وأولاده إلى الشام وينزلهم قريب غوطة دمشق ويعطي هذه الأرض الزراعية وشاء ربك أن تعود ثانية إلى الشام ولكن القدر الإلهي شاء لها أن تطهر هذه الأرض بمرقدتها الطاهر لتحي جموع المحبين والموالين الذين أجهز النظام الأموي عليهم . وهكذا كانت زينب عليها السلام مهيجة للخواطر مشعلة للثورة منددة بالنظام واندلعت

(١) جعفر النقي، زينب الكبرى ط ١ النجف ص ١٢٠ .

الثورة بحق بعد مجيء وفد أهل المدينة الذين ذهبوا حسب العادة إلى راس النظام وأكرمهم وأحسن يزيد اليهم وأعظم جوائزهم فلما رجعوا إلى المدينة أظهروا شتم يزيد وعيبه وفضحوه على حقيقته وكان قائد الرحلة عبد الله بن حنظلة الانصاري غسيل الملائكة يقول: قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر ويضرب بالطنابير، ويعزف له القيان ويلعب بالكلاب ويسمر عنده الخراب وهم اللصوص وأنا نشهد لكم بأننا قد خلعناه وقام عبد الله بالثورة وبدأو بيوت الأمويين.

وخاف الوالي الأموي ولجأ الأمويون إلى مكامن تمنع عنهم غضب الثوار فلم يجدوا الا البيوت التي هدموها وأحرقوها وقتلوا أهلها. وحدها هذه البيوت التي أمنت نساءهم وأطفالهم عندما ولى الرجال دبرهم للثوار وهربوا من وسط الثورة العارمة.

ولم يكن عند يزيد حل سياسي فالقمع والمجازر والبطش هو السمة الوحيدة لطيش يزيد وحكمه فبعث عليهم مسرف بن عقبة المري وعاملهم أسوء معاملة ولم يرع لرسول الله حرمة في مسجده وحرمة وصحابته فهتكوا المسجد وذبحوا المصلين فيه حتى سال الدم كالميزاب وكأنه مسلخ لذبح الاضاحي في منى فقتل النظام ألفا وسبعماية من الصحابة الكرام وأكثر من عشرة آلاف من الموالي غير العرب وفجر الجيش بأكثر من ألف فتاة مصونة لم تعرف الزواج غصبوهن إمام أهلن وعلى فراشهن.

وكانت هذه الفعلة الشنيعة أحد أهم معاول هدم النظام حيث وصل حينها إلى كل البلاد الإسلامية فسخط الناس على النظام وأدى هذا السخط إلى ثورة لاهبة وضرب النظام من الداخل والخارج

فتداعى مهلهلاً بعدما جار وظلم وطغى وبقي وقال: أنا ربكم الأعلى وهذه نهاية طبيعية لكل بغي وظالم في جميع الأزمنة والعصور.

ثورة المختار الثقفي

استطاع عبد الله بن الزبير أن يسيطر على الحجاز والعراق بعد مقتل يزيد بن معاوية حيث الوضع الأموي المضطرب والثورات الشعبية تتوالى على النظام وكان الشعب مهيناً في كل بلد للخروج على النظام وكانت فرصة ابن الزبير كبيرة لو أحسن استخدامها ولكن لسوء حظه وبغضه لآل البيت عليهم السلام جريمة غصة كبرى ومن سوء حظه أنه استعمل القتلة الذين حاربوا الحسين عليه السلام وقتلوه استعملهم على أهل الكوفة الثائرين للدم الحسيني الهادر لأن الثورة انطلقت تحت عنوان يا لثارات الحسين. فلا يمكن لمن يعتمد على قتلة الحسين في بلد تآثر كهذا البلد ان ينجح.

ومن هنا عندما قام المختار الثقفي بالثورة ورفع شعار ثارات الحسين عليه السلام تجاوبت معه الجماهير الغفيرة وخصوصاً الموالي المسلمون من غير العرب المضطهدين والذين يخدمون وليس لهم في المكاسب شيء فهؤلاء وفى لهم المختار وولاهم ورفع شأنهم ورد اعتبارهم الاجتماعي والسياسي والامني فكانوا خير مساعدين في هذه الثورة الفتية اللاهبة كما أن المختار لاحق قتلة الحسين عليه السلام الذين حماهم ابن الزبير وأعطاهم نفس ما كان لهم في زمن يزيد ومن هنا نجح المختار بملاحقته لهؤلاء واصطيادهم واحداً بعد الآخر. وطهر الأرض والبلاد من رجسهم وشفى بذلك قلوب المحبين والموالين وخصوصاً آل بيت النبي رجلاً ونساء.

وكان المختار الثقفي ناقما على النظام نقمة صحيحة حيث لم يبق له في الكوفة أحدا مما جعل النظام يتداعى في العراق بسرعة لولا جيوش أهل الشام وغيرها من البلاد.

وهذا الكتاب ليس من وظيفته تأريخ الثورات وإنما يعنيه أن يظهر النتائج الحتمية للثورة الدامية وثورة المظلومين والتي انبعثت من دم الحسين الطاهر.

وان تكون الإشراقات الكربلائية قد ثبت فعلا مقولاتها وملاحظاتها وكشوفاتها الحقيقية.

الآثار العالمية لثورة المظلومين

امتدت الثورات الشعبية التي تفلتت من النظام في كل البلاد الإسلامية بعدما تمكن المختار الثقفي من القضاء على رموز النظام واطمأن أهل البيت وجماعتهم إلى السكينة والراحة وراحوا ييثون في الناس الوعي والثقافة واضطر الحكم الأموي الدامي أن يتنازل عن ضغوطاته على أهل البيت عليهم السلام ويميل نحو إسعادهم وتركهم يعملون ما يشاؤون من دروس ولقاءات عامة.

وعاد الإمام زين العابدين من رحلته الصحراوية إلى مسجد جده رسول الله ﷺ مرجعا فكريا وثقافيا يفسر القرآن ويعلم الأحكام ويصحح للفقهاء حديثهم وللمفسرين تفسيرهم ولأهل السلوك سلوكهم ويقف في وجه الحكم وقفة قاسية ولا يسمح لهم أن يمارسوا ظلما هو يراه أو يسمح به وكان له هيبة عظيمة في صدورهم.

وقام بعده ولده الإمام الباقر يمهّد لبناء جامعة إسلامية كبرى وفتح الإمام الصادق عليه السلام جامعة كبرى لبيت العلوم على مختلف

ألوانها ناهيك عن الادبيات الإسلامية وبهذا انتهت الدولة الأموية التي استمرت ألف شهر وانتهى الحكم الأموي إلى الابد ولم يظهر لهم بعد ذلك حكم الا في الاندلس حيث أسسوا لخلافة إسلامية أموية أخذت بأسباب العلم وطغا بها الحاكم بالترف والشهوة والقتل مما أساء إلى الإسلام أكثر مما أحسن وبعد فترة انتهوا من الوجود وذهبت معهم الحضارة العمرانية والمعنويات الكبرى التي اتكأت يوماً على أحلام هذه الدولة.

وماذاك الا لأن الجب الأموي غير صالح لحكم الامة ولا يزال الفريق العلوي يعمل بجذ ونشاط لإظهار كلمة الحق على التاريخ الحسيني الكبير ويعد الامم بثورة المهدي الموعود الذي يأتي في آخر الزمن بخلاص البشرية من الجور والظلم.

وهذه البشرية تتمسك اليوم بقيم أهل البيت عليه السلام الممتدة إلى الرسول والوحي والملائكة إلى الله خالق العباد وراحمهم.

هذا بعض من فيض الكشوفات والإشراقات الكربلائية التي اضاءت الزمان وحققت معلومات يقينية للثورة الإسلامية المباركة.

ونحن إمام هذا الفيض الإلهي نشرب ونهل ونتوضأ ونغتسل ونصلي ونعبد الله على طريقة أهل السلوك والإشراق على طريقة علي والحسين وفاطمة والحسن ونترك الآخرين وطرائقهم لأننا ذنبا بآل المصطفى وغرفنا من بحور علومهم وشربنا من ينبوع الصافي ونترك للآخرين جداولهم وبعض ما عندهم فما عندنا يكفيننا ويكفي للأمم جمعاء.

اللهم بارك لنا في مداد العلماء ودماء الشهداء وبارك لنا في

أهل البيت عنوان المعرفة والعلوم والعدل والقيم الإنسانية الصالحة.
وبارك لنا في علماء آل محمد الذين طهرت نفوسهم وطابت
أرواحهم وزكت قلوبهم من أكل الحلال وشرب الحلال التزاماً
بالحكم الشرعي الإلهي المبارك.
اللهم وبارك لنا في ثورتنا الإسلامية مقاومتنا الإسلامية
وانتفاضة الاقصى واجعل ذلك مقدمة قريبة لخروج مولانا صاحب
العصر والزمان (عج) الذي وعدنا به ونحن على يقين من خروجه.
اللهم وفقنا لرؤية نور وجهه والتمتع بأنوار إشراقته ووفقنا
لخدمة الدين وإقامة شريعة سيد المرسلين والحمد لله رب العالمين.

السيف عفيف النابلسي
صيدا ني: ٥ حزيران ٢٠٠٢

الفهرس

المقدمة	٥
مقدمات لا بد منها	١١
وجود الله	١٦
دلالة الأثر على المؤثر	١٧
التوحيد	١٨
النبوة	٢٠
مصادر المعرفة	٢٩
الحس	٣٠
الاستنتاج	٣١
الاستقراء	٣٢
التجربة	٣٢
الالهام والإشراق	٣٣
«الخلاف الحاد في المعرفة بين العقل والقلب»	٣٦
ثناء على العرفان	٣٨
«الإمام الخميني والعرفاء»	٣٩
الشهيد الثاني (قدس)	٤٠

٤٣	الاسفار الاربعة
٤٤	العوالم الاربعة
٤٥	الإلهام والإشراق وعلماء الغرب
٤٨	الفلسفة والعرفان
٥٣	الشريعة والطريقة الحقيقية
٥٥	تفسير الطريقة بالإيمان
٥٦	خلط الأوراق
٥٩	تطبيقات إشراقية
٦٠	(آية النور - سورة النور ٣٤)
٦٤	شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء
٦٦	اهمية الاشباح الخمسة عند الله
٧٠	من عالم النور إلى عالم الحياة
٧٢	فاطمة الزهراء عليها السلام
٧٣	يوم القرآن
٧٦	يوم الميلاد
٧٧	أذان
٧٨	«سلام عليه يوم ولد»
٧٨	غذاء النبوة
٨١	قدوة الصبا وفورة الشباب
٩٢	إرهاصات المذبحة الالهية
١٠٢	معجزات - كرامات - إشراقات
١٠٥	مواقف مبدئية
١١٠	بداية الرحلة
١١٠	المدينة
١١٤	مكة

١١٧	السفر إلى العراق
١٢٠	لا أرى الموت إلا سعادة
١٢٢	ليلة العاشر
١٢٤	يوم العاشر من محرم
١٢٧	نور الشهادة
١٣١	فرس الحسين
١٣٣	العباس
١٣٦	علي الأكبر
١٣٩	أصحاب الحسين
١٣٩	زهير
١٤١	عابس بن شاعر الشيبلي البطل الشاعر
١٤٢	الحر الرياحي
١٤٦	جون مولى أبي ذر الغفاري
١٤٩	حبيب بن مظاهر الاسدي
١٥٢	الفاجعة الكبرى
١٥٥	«زينب الكبرى الموقف البطل»
١٦١	الإمام السجاد (ع)
١٦٥	تداعيات الملحمة
١٦٧	الآثار المباركة
١٧٠	بداية الثورة الشعبية
١٧٣	ثورة المدينة
١٧٦	ثورة المختار الثقفي
١٧٧	الآثار العالمية لثورة المظلومين